الفصل السادس

الغايات من الخلق [1]

بديهى ؛ إذا قلنا بضرورة وجود الغايات من الخلق .. فلابد وأن يكون الدين هو البلاغ الصادر عن الخالق .. للتعريف بهذه الغايات ..

فى الواقع ؛ إذا استثنينا شك الإنسان فى وجود الخالق (على إعتبار أن وجود الغايات من الخلق سوف تؤدى بشكل تلقائى إلى وجود الخالق) ، فإن المشكلة الأساسية لدى الإنسان تتمحور حول الاتى :

(١) عدم معرفة الإنسان للغايات من خلقه ، كناتج طبيعى من عدم فهمه لمعنى الدين ولمعنى دور الدين فى حياة الإنسان .
(٢) عدم وجود البرهان العلمى الكاف والحاسم (سواء الرياضى منه أو الفيزيائى) الذى يؤكد على حقيقة وجود مثل هذه الغايات .

ولكن قبل أن نبدأ عرضنا " **للغايات من الخلق** " ، لابد لنا من إلقاء الضوء ــ أولا ــ على مفهوم " **الفطرة الدينية** " لدى الإنسان ، وهى الفطرة التى قادت المفكرين والفلاسفة إلى القناعة الكاملة بأن الحضارات الأولى للإنسان قد نشأت أول ما نشأت **بدوافع دينية محضة** ، كما وأنها كانت حضارات ذات طابع دينى بحت . وهى أيضا ، أى الفطرة الدينية ، هى التى دفعت بالإنسان لإقامة وبناء هذا الكم الهائل من المعابد ودور العبادة على مدار حضاراته المختلفة (ومازال يقيمها حتى الان) **لعبادة .. الإله .. أى إله ..!!!** فكل ما نرى ــ الآن ــ من اثار الحضارات القديمة ، تدور كلها فى فلك : فكر وجود الخالق ، وفكر خلود الإنسان وأمله فى

---

[1] يعتبر هذا الفصل إمتداد لبند : **نظرية الإحتواء فى قصة الوجود الإنسانى** ؛ الذى تم عرضه فى الفصل الخامس السابق .

حياة أخرى باقية فيما وراء أو فيما بعد الموت . كما يمكن أن نضيف بأن قضية القضايا ، حتى بعد أن أخذت الحضارة الطابع المادى لها والذى انحصر فى إشباع رغبات الإنسان الحسية والمادية فقط ، ما زالت هى : قضية الغايات من وجود الإنسان وخلقه . ولنلمس هذه المعانى فى محاولة لمعرفة الغايات من وجود الإنسان وخلقه ؛ دعنا نقترب ــ أولا ــ من الفكر الإنسانى بقدر كاف حتى نرى محاولاته المبذولة لمعرفة مثل هذه الغايات ..

١ . فشل الفلسفة ...

يقول فردريك نيتشه [٢] :

" إخبرونى يا إخوانى أليست الإنسانية ناقصة إذا كان ينقصها الهدف ...؟! " [٣]

---

[٢] **فريدريك نيتشه : Friedrich Nietzsche** (١٨٤٤ - ١٩٠٠) ؛ فيلسوف ألمانى ، يعتبر من وجهة نظر كثيرين من الفلاسفة أمثال " **مارتن هيدجر** " (١٨٨٩ - ١٩٧٦) و " **كارل يسبرز** " (١٨٨٣ - ١٩٦٩) ، أحد المؤسسين الأوائل ، أو على الأقل ، أحد المفكرين الأوائل الذين مهدوا الطريق إلى " **مذهب الوجودية الحديثة** " . وينحدر **نيتشه** من أسرة إكليركية ، **فقد كان أبوه قسيسا ، كما كان معظم أجداده من أمه وأبيه من رجال الدين المسيحى** . وعندما بلغ " **نيتشه** " الثامنة عشرة فقد إيمانه فى إله آبائه وأمضى بقية حياته فى البحث عن إله جديد . وقد بشر **نيتشه** بـ " **الإنسان الأعلى** " أو " **السوبرمان** " ، بعد أن مات إله آبائه على يديه ويأس من العثور على الإله الحقيقى . وتنبأ **نيتشه** بأن " **الإنسان الأعلى** " سوف يظهر بوصفه الإمتداد والإرتقاء الطبيعى **للفرد الأرستقراطى المنعزل** . وبديهى لم يحمل العصر الذى تلاه ، أو العصر الحالى أى شىء من نبوءة **نيتشه** .

وفى شهر يناير من عام ١٨٨٩ ؛ بينما كان **نيتشه** يسير فى أحد شوارع **تورين** ، شاهد فرسا يضرب صاحبه ضربا أليما ، فألقى بنفسه عليه ليحميه ، **ثم سقط على الأرض صريع الجنون** . وقضى **نيتشه** ما يقرب من إثنى عشر عاما فى " **فيمار : Wiemar** " ، بعيدا كل البعد عن عالم العقلاء ، **إلى أن توفى فى ٢٥ إغسطس عام ١٩٠٠** .

وعلى الرغم من عدم عثور **نيتشة** على الإله ، إلا انه كان **يؤمن بالخلود** ، وكان يقول بفكرة " **العود الأبدى** " ، وهى فكرة تشبه **تناسخ الأرواح التى تقول بها ديانات الهند الكبرى** (الهندوسية ، البوذية ، الجيلية) ولكن بمفهوم أعم من تناسخ الأرواح . فالتكرار ــ **فى العود الأبدى** ــ ليس تكرار أفراد فحسب ، ولكنه تكرار يشمل " **الكون بأسره بكل ما فيه ومن فيه** " ، بما فى ذلك الإنسان وحضاراته . **وبديهى ؛ هو تكرار لا يشمل ذاكرة ما ، يمكن أن يستفاد منها ، أى هو تكرار فحسب لا حكمة فيه** . أى أن " **نيتشه** " ذاته سوف يتكرر بنفس الشكل وبنفس الفكر على نحو أبدى ، **وفى كل مرة سوف تنتهى حياته بالجنون ..!!!** ويستند **نيتشه** فى فرضيته الخاصة بالعود أو التكرار الأبدى إلى **فرضية** " **أبدية الزمان** " ، وهى فرضية خاطئة كما تقول بهذا " **نظرية الإنفجار العظيم : The Big Bang Theory** " ، فلم يكن هناك معنى للزمن قبل بدء الكون ، كما لن يكون هناك معنى للزمن بعد نهاية الكون . ولم تكن " **نظرية الإنفجار العظيم** " قد صيغت بعد عندما قال **نيتشه** بفرضيته هذه .

[٣] **قصة الفلسفة** ول ديورانت مكتبة المعارف ، بيروت . ص : ٥٢٢

ثم يتساءل ***نيتشه*** : " أيكون إلهاً خَيِّرًا هذا الذى يعلم كل شىء ، ويقدر على كل شىء ، ولا يعبأ مع ذلك بأن تكون مقاصده غير مفهومة لمخلوقاته .. ألا يكون إلهاً شريرًا ذلك الذى **يملك الحقيقة** ، ويرى ذلك العذاب الأليم الذى تعانيه البشرية من أجل الوصول إليها ..؟! " [٤]

وحاشا لله (ﷻ) أن يتصف بمثل هذه الصفات ، ولكن هو قصور العقل البشرى وإعراضه المتعمد عن معرفة الغايات من خلقه . وهو ــ أيضا ــ قصور من من ***يملك الحقيقة المطلقة ولم يَبْلغ بها ..!!!*** **ومات نيتشه ذلك الفيلسوف المسكين .. مجنونا .. بعيدا تماما عن عالم العقلاء ..!!! ألما وعذابا لعدم إدراكه الحقيقة ... ألما وعذابا لعدم معرفته الغايات من خلقه ..!!!** ***ووقع وزر نيتشه علينا ــ نحن ــ من يملك هذه الحقيقة المطلقة .. ولم يبلغ بها ..!!!***

ولم يفهم **نيتشه** ــ فى ما يفهم ــ حقيقة وجوده .. كما لم يفهم **نيتشه** ــ فى ما يفهم ــ الغايات من خلقه ..!!! **حتى اعتقد أن :**

" الإله قد خلق الإنسان كالقرد .. ليتلهى به أبديته المملة ..!!! "

ويعلم المولى (ﷻ) بعلمه اللدنى ، ما يدور .. وما سوف يدور فى خلد الإنسان ونفسه ، ليرد على هذه التساؤلات ومثلها ، بنصه الأزلى ــ فى قرآنه المجيد ــ بقوله تعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (١٦) لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ (١٧) بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ (١٨) ﴾

(القران المجيد : الأنبياء {٢١} : ١٦ – ١٨)

وهكذا يبين لنا المولى (ﷻ) أن قضية خلق الوجود ككل ، اى خلق ﴿ ... السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا ... ﴾ ، ومنها الوجود الإنسانى كجزء ، أنها ليست لهوا إلهيا ..!!! كما وأن الله (ﷻ) لم يخلق الإنسان كالقرد ليتلهى به ..!!! فلو أراد أن يتلهى ــ وحاشا له ذلك ــ لما

---

[٤] " نيتشه " (سلسلة نوابغ الفكر الغربى) : د. فؤاد زكريا . دار المعارف . ص : ١٣٤ .

تلهى بالإنسان .. ﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ .. فالتلهى لا يتوافق وفكر الكمال الإلهى ..!!!

ثم تأتى " **الفلسفة الوجودية** " لترى أن الحياة " **عبثا** " لا طائل من ورائها ..!!! حتى أن **الموت ــ عند سارتر ــ ليس سوى العبث الأخير ، وهو لا يقل عبثا عن الحياة ذاتها ..!!! فالموت يظهر فى الفلسفة الوجودية ــ عند سارتر ــ كـ " جزء من الصفقة " ، أى جزء من صفقة الوجود ، على حد تعبيره** [٥] . وقد أدت هذه الفلسفة بالإنسان إلى الإعتقاد بأنه موجود فى **عالم عبثى لا معقول (Absurd)** [٦] .. أى عالم خالى من " **الإله** " ..!!! **كما انتهت ــ هذه الفلسفة ــ إلى القول بأننا نحيا فى عصر العدمية (Nihilism)** [٧] ..!!! وبديهى العبثية فى الخلق ، والعدمية فى الوجود لاتتفق وفكر الكمال الإلهى أيضا ، ولهذا يأتى الرد بالنص الأزلى ــ فى القران المجيد ــ بقوله تعالى :

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (١١٦) ﴾

(القران المجيد : المؤمنون {٢٣} : ١١٥ - ١١٦)

ومن هذا المنظور الفلسفى السابق ؛ يصبح ظهور الإنسان ــ أيضا ــ فى هذا الوجود سُدًى ، أى هو ظهور مهمل لا قيمة فيه ..!!! ليرد المولى (ﷻ) ــ بعلمه الأزلى ــ على مثل هذه الفِرْية أيضا .. بقوله تعالى :

﴿ أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ [٨] الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى (٣٩) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى (٤٠) ﴾

(القرآن المجيد : القيامة {٧٥} : ٣٦ - ٤٠)

---

[٥] " **الوجودية** " ، جون ماكورى ؛ ترجمة د. إمام عبد الفتاح إمام ، مراجعة د. فؤاد ذكريا . دار الثقافة للنشر والتوزيع . ص : ٢٨٧ .

[٦] سبق تعريف العبثية (**Absurdism**) **فى تذييل رقم ٧٢ من الفصل الرابع من هذا الكتاب .**

[٧] سبق تعريف العدمية (**Nihilism**) **فى تذييل رقم ٧١ من الفصل الرابع من هذا الكتاب .**

[٨] تحسب هذه الآية الكريمة من الآيات العلمية ، فكما نرى أن " نوع الجنين " يتحدد من منى الرجل ، وتأتى هذه الحقيقة العلمية بحرف واحد فقط ، هو ضمير الغائب فى كلمة " **منه** " .

فمن غير الله .. الذى يبدىء ويعيد ..؟!

﴿ إِنَّـهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُـعِيدُ (١٣) ﴾

(القران المجيد : البروج {٨٥} : ١٣)

وبهذا ينبغى أن يكون للعالم معنى ..

﴿ ... رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُـبْحَانَكَ فَـقِنَا عَذَابَ النارِ (١٩١) ﴾

(القران المجيد : ال عِمْران {٣} : ١٩١)

وهكذا تنتهى " **قصة الفلسفة** " [٩] (متمثلة فى فكر **فردريك نيتشه** ، وفى فكر **سـارتر**) إلـى اليأس الكامل ، فى معرفة أى شىء عن الغايات من الخلق ، على الرغم من قناعتها الكاملة من ضرورة وجود مثل تلك الغايات [١٠] ..!!! وقد أدى هذا " **التضارب** " بين القناعـة بضـرورة وجود الغايات من الخلق ، وبين الجهل بمعرفتها إلى جنون " **نيتشه** " التام قبل وفاته بإثنى عشر عاما .. كـما أدى هذا بالفلاسفة الاخرين إلى القول بعدمية الحياة وعبثيتها .. ***وهو مـا يعنـى جنون الوجود ذاته ..!!!***

---

[٩] كان الفلاسفة حتى " **القرن الثامن عشر** " يعتبرون سائر المعرفة الإنسانية ، بما فـى ذلـك العلـوم ، مجـال اختصاصهم ، وكانوا يناقشون أسئلة مثل : **هل للكون بداية ؟** إلا أن العلم اعتبارا من " **القرن التاسـع عشـر** " ، أصبح تقنيا ورياضيا إلى حد يفوق قدرة الفلاسفة أو أى شخص اخر باستثناء قلة من المتخصصين ، ولهذا خفـف الفلاسفة من مدى أسئلتهم وتطلعاتهم إلى الحد الذى دعى " **فيتجنشتاين : Wittgenstein** " (أشهر فلاسـفة هـذا العصر) إلى القول : " **إن المهمة الوحيدة الباقية للفلسفة هى تحليل اللغة** " ...!!!

[١٠] فقد قال **أرسطو** (٣٨٤ - ٣٢٢ ق. م.) : " بأن كل شىء فى الوجود له غاية وله وظيفة يؤديها ، ولا شـىء فى الوجود ــ حتى حركات العالم الآلية ــ إلا وهو يتحرك نحو غاية " . إلا أنه لم يحدد لنا ما هى هذه الغاية التى يتحرك نحوها الوجود ..؟! وجاءت الفلسفة السفسطائية وقالت أن **غاية الإنسان** هو الحصول على **اللذة الجسـدية** لذاتها ، نظرا لأن الإنسان بطبيعته يميل إلى الشهوة والهوى . واتفق **أبيقور** (٣٤٢ - ٢٧٠ ق. م.) مع هذا الفكر ، الا أنه قال بأن **اللذة العقلية تفوق اللذة الجسدية بكثير** . وجاء **سقراط** (٤٦٩ - ٣٩٩ ق. م.) ليقول أن الهدف من الحياة هو البحث عن الفضيلة وممارستهـا . ***وبديهى لم تؤدى كل هذه التكهنات عن " الغايات من الوجـود " عن قناعة الإنسان بها .***

٢ . وفشل العلم أيضا ...

ثم نترك الفلسفة لننتقل إلى العلم [١١] ؛ متمثلا فى فكر عالم الفيزياء المشهور " ستيفن هوكنج " [١٢] ، الذى يقول : ماذا يعنى لنا حقا ، أن نكتشف النظرية النهائية للكون ؟ وفى محاولة منه للإجابة على هذ السؤال يقول **هوكنج** : " إذا اكتشفنا حقا نظرية كاملة عن الكون ، فسوف تكون هذه النظرية قابلة للفهم ــ فى حينها ــ من حيث مبدأها الواسع بالنسبة إلى كل الناس ، لا إلى القلة من العلماء فحسب . وعندها سوف يمكننا جميعا ــ فلاسفة وعلماء وحتى أناس عاديين ــ من أن نساهم فى مناقشة السؤال : **لماذا نحن والكون موجودون ؟ فإذا وجدنا الجواب على هذا السؤال .. فسيكون ذلك هو الإنتصار المطلق للعقل البشرى .. لأننا ــ عندها ــ سوف نعرف " فكر الله " ..!!!**

وهكذا يرى " ستيفن هوكنج " بأن العلم يجب أن يقود أو ينتهى إلى الله (ﷻ) .. وهكذا الإنسان يتحرك نحو غاية نهائية .. هى

﴿ وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى (٤٢) ﴾

(القرآن المجيد : النجم {٥٣} : ٤٢)

ومن هذا نرى ؛ أن غاية بحوث وفكر الفيزياء المعاصرة (يمثلها فكر وبحوث " **ستيفن هوكنج** " فى الكونيات) [١٣] ينحصر فى **أملين فقط** لا ثالث لهما ؛ **الأول منهما** : هو أن ينتهى الإنسان

---

[١١] **يمكن إعادة صياغة تعريف العلم بأنه : المحاولة المبذولة لاكتشاف مجموعة من القوانين الرياضية التى تمكننا من التنبؤ بالأحداث الطبيعية فى الإطار الذى يحدده لنا " مبدأ الشك : Uncertainity Principle " ، لـ " فيرنر هايزنبرج " .**

[١٢] " **ستيفن هوكنج : Stephen Hawking** " (١٩٤٢ – ...) واحد من طليعة علماء الكونيات فى العالم ، ويعتبر إلى حد بعيد ألمع فيزيائى نظرى منذ " **أينشتين** ". وقد اشتهر " **هوكنج** " ببحوثه فى الثقوب السوداء (Black Holes) ، وقد عمل على ربط " **ميكانيكا الكم** " بـ " **الجاذبية العامة** " فى نظرية موحدة يمكن أن تشرح أصل وتركيب ونشأة الكون . ويعتبر كتابه : " **موجز فى تاريخ الزمان : من الإنفجار العظيم إلى الثقوب السوداء** " الذى نشر فى عام ١٩٨٨ ، من أحسن الكتب مبيعا فى العالم ، كما قالت بهذا موسوعة " **كتاب العالم : The World Book Encyclopedia** " ، ومنه نكتب الخلاصة السابقة فى صورة هذا السؤال والجواب المذكورين . وقد قامت " **دار أكاديميا للنشر ببيروت** " بترجمة هذا الكتاب إلى العربية ، ونشرة تحت الإسم السابق ذكره .

[١٣] سبق أن ناقشنا فكر " **آنشتين** " عن الدين فى الكتاب السابق : " **الحقيقة المطلقة ... الله والدين والإنسان** " ؛ وقد بينا فيه أن **آنشتين** قد فشل فشلا ذريعا فى معرفة أى شىء عن الوجود وغاياته .

من العلم إلى اكتشاف " **نظرية موحدة** " [١٤] تشرح أصل وتركيب ونشأة الكون . أمـــا **الأمـل الثانى فهو** : ربمـا (أى إحتمالا وليس يقينا) أن تؤدى هذه النظرية الموحدة (أو تلك المعادلة المأمولة) ــ بعد شرحها لنشأة الكون ــ إلى معرفة شيئا عن الغايات من خلق الكون والإنسان (أى لماذا نحن والكون موجودين ؟!) . وإذا ما عرف الإنسان ــ من هذه النظرية ــ الغايات من خلقه وخلق الكون ، فإنه بهذه المعرفة سوف يكون : ***قد حقق الإنتصار المطلق للعقل البشـرى ... لأنه ــ فى هذه الحالة ــ سوف يعرف شيئا عن فكر الله (ﷻ) ...!!!***

---

[١٤] من المقبول حاليا وجود " **خمسة** " أنواع من التفاعلات (Interactions) أو القوى (Forces) فى الطبيعة ، وهذه التفاعلات أو القوى على مستوى العالم الكبير : (١) قوى الجاذبيـــة (٢) قـــوى الكهربيـــة (٣) قـــوى المغناطيسية . وعلى المستوى النووى : (٤) التفاعل النووى القوى (Strong nuclear interaction) ، وهى قوى قصيرة المدى ، وهى المسئولة عن حفظ البرتونات (على الرغم من تشابه شحناتها) والنيوترونات معا فى نـــواة الذرة . أما القوى الأخيرة فهى : (٥) التفاعل النووى الضعيف (Weak nuclear interaction) وهـــو القـــوى المسئولة عن " **إضمحلال المواد المشعة** " أو " **إضمحلال النوى الذرية** " ذات الأوزان الذرية الثقيلة ، وتحولـــها إلى عناصر أخرى مستقرة ذات أوزان ذرية أصغر .

وقد بدء **العالم الأسكتلندى جيمس كلارك ماكسويل** (١٨٣١ - ١٨٧٩) فكر التوحيد بين هذه القوى **عندما** " **وحّد** : **unify** " بين القوى الكهربية والقوى المغناطيسية فى سلسلة من المعادلات تعرف ــ الآن ــ بإسمه ، وهـــى : " **معادلات ماكسويل** : **Maxwell Equations** " . وأصبحت القوى الكهربائية والقوى المغناطيسية تعرفـــان باسـم واحد هى : " **القوى الكهرومغناطيسية** " . والتوحيد بين القوتين إنما يعنى إكتشاف العلاقة الرياضية التـــى تربـــط بينهما . وهى ببساطة : **أن أحدى القوتين يمكن أن تنتج القوة الأخرى إذا ما توفرت بعض الظروف أو الشـــروط المعينة للقوة الأولى** . أو بتعبير آخر ، أن الجسيمات التى تحمل التفاعل (**أى البوزونات** : **Bosons**) بين القوى الكهربية والقوى المغناطيسية ، هى من نوع واحد وتعرف باسم " **الفوتونات** : **Photons** " . **وبديهى أن مثل هـذه الصياغة أو مثل هذه المعرفة لن تضيف شيئا عن معرفة الغايات من خلق الإنسان** .

ثم جاء ــ بعد ذلك ــ العالم الباكستانى : " **عبدالسلام** : **Abdus salam** " ، والعالم الأمريكى : " **ستيفن فينـبرج** : **Steven Weinberg** " ، ليتقاسما جائزة نوبل فى الفيزياء عن عام ١٩٧٩ ، عن بحوثهما التى أدت إلى توحيـد القوى الكهرومغناطيسية مع " القوى النووية الضعيفة " فى نظرية واحدة تعرف باسم : " النظرية الكهروضعيفـة : The Electroweak Theory " ، مستخدمين فى هذا تكليكا رياضيا يعرف باسم : " التماثل المقياســـى : Gauge Symmetry " . وعلى حسب هذه النظرية فإن التفاعل الكهرومغناطيسى يتم مع القوى النووية الضعيفة ، بتبـــادل الفوتونات (التى تنقل القوى الكهرومغناطيسية) مع البوزونات المتوسطة (W و Z) التى تنقل القوى النوويـــة الضعيفة (حيث يعتقد فى أن هذه الجسيمات ، W و Z ، تنتمى إلى نفس عائلة الجسيمات الناقلة لتفاعلات القوى الطبيعية أى البوزونات ، انظر كذلك تذييلات أرقام : ٢٢ ، ٢٣ ، .. ٢٦ من الفصل الأول من هذا الكتاب) .

ويجرى الفيزيائيون ــ الآن ــ محاولات كثيرة لدمج القوى الكهروضعيفة مع " **القوى النووية القوية** " باستخدام : " نظريات التماثل : Symmetry Theories " . وتعرف هذه المحاولات باسم : " النظريات التوحيديـــة الكـــبرى : The Grand Unified Theories " ، وتختصر بالأحرف (**GUTs**) . ومازالت الجهود المكثفة مســـتمرة لدمـــج القوى الطبيعية الخمس السابقة فى نظرية واحدة ، أى دمج الـ **GUTs** مـــع قـــوى الجاذبيـــة . وتعـــرف هـــذه المحاولات المبذولة باسم " **نظريات التماثل الفائق** : **Supersymmetry Theories** " ، كما تعـــرف النظريـــة نفسها باسم : " **نظرية المجال الموحد** : **Unified Field Theory** " . ولكن لم تنجح أيا من هـــذه المحـــاولات المبذولة حتى الآن . ونظرا للمشاكل التى تواجه " **نظريات التماثل الفائق** " ، فقد ظهرت فى الأفق كحل بديـل : " **نظرية الخيط الفائق** : **Superstring Theory** " ، التى سبق الحديث عنها فى تذييل رقم ٢٦ من الفصـــل الأول ، من هذا الكتاب .

وهكذا العلـــم أو الفيزياء المعاصرة (متمثلة فى فكر **ستيفن هوكنج**) ما زالت يحدوها الأمـــل فى معرفة " **النظرية الموحدة** " التى يمكن للإنسان باستخدامها " **معرفة أصل ونشأة الكـون** " ، فربما تقود أو تؤدى هذه المعرفة إلى معرفة شيئا ما عن غايات الله (ﷻ) من خلق الإنســـان والكون ... !!!

ولى أن أؤكد هنا ؛ أن معرفة العلاقات الرياضية بين قوى الطبيعة المختلفة لن تضيف شـيئا عن معرفة فكر الله (ﷻ) ، كما أنها لن تضيف شيئا عن معرفة الغايات من خلـــق الإنســـان ووجوده ..!!! وليس معنى هذا أن تبقى مثل هذه القضايا لغزا لا يستطيع " **العلم** " حله ، بل أن الحل العلمى سوف يأتى بإسلوب مغاير عن هذا المعنى ، يتلخص فى حصـــر الأداء الإنســـانى على مدى تقدمه الحضارى فى تحقيق قوله تعالى :

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُـــلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣) ﴾

(القرآن المجيد : فصلت {٤١} : ٥٣)

وهنا يتمحور دور " **العلم** " ــ فقط ــ حول البرهنة على صحة البلاغ ــ القرانى ــ الصادر عن المولى (ﷻ) . ثم يتبع هذا التثبت من الصحة ، التعرف على الغايات من الخلق ــ بإســـهاب ــ من خلال هذا البلاغ . وبديهى هذا متوقع ، لسبب بسيط ، هو أن المفاهيم الخاصة بوجـــود الغايات من الخلق ، لابد وأن تختلف فى صياغتها وفى منطوقها عن الصياغة الخاصة بمنطـوق وصياغة العلم .

وننتهى من هذه العجالة بأن الإدراك الفطرى للإنسان ــ متمثلا فى فكر الفلسفة والعلم ــ يؤكـــد على ضرورة وجود غايات من خلق الإنسان والكون ، ولكن الإنسان لا يعرف ــ ولو عن بعـــد ــ عن هذه الغايات شيئا ..!!! وكما سبق وأن بينت ، أن الإنسان غير مؤهل فطريا لمعرفة فكر الله (ﷻ) على وجه مطلق ، ومنه الغايات من خلقه للخلق على وجه التخصيص ..!!! حيـــث نتبين هذه المعانى من الخطاب الموجه من **عيسى** (عليه السلام) إلى الله (ﷻ) .. كما جـــاء فـــى قرانه المجيد :

﴿ ... تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّـكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ (١١٦) ﴾

(القران المجيد : المائدة {٥} : ١١٦)

فمثل هذه المعرفة ــ أى معرفة الغايات من الخلق ــ هى قضايا إخبارية (إختبارية) ، يخبرنا بها المولى (ﷻ) بشكل مباشر من خلال منهاجه ــ أى الدين ــ الذى يحدد العلاقة المتبادلة بين الخالق والإنسان . ولم يتنبه الإنسان كذلك ؛ إلى أن العلم ، مهما بلغت ذراه ، لن يقود الإنسان إلى معرفة هذه الغايات ..!!! فلو صح هذا ، لهلك كل من جاء قبل إدراكنا لهذه الغايات ..!!! لأنها بهذا المعنى هى غايات مؤجلة حتى يأتى موعد اكتشاف الإنسان ***للمعادلة المأمولة*** التى سوف توضح لنا مثل هذه الغايات ، وبالتالى لن يستطيع أن يحقق هذه الغايات إلا من أتى بعد هذه المعرفة . أما من جاء من البشر قبل ***اكتشافنا لتلك المعادلة*** ، هذا بفرض أن هذه المعادلة سوف تقود بالضرورة إلى معرفة الغايات من خلق الإنسان ، فإنه هالك لا محالة لأنه لم يحقق الغايات من خلقه لعدم معرفته لهذه الغايات . وبديهى ؛ يتناقض هذا والعدل الإلهى ، وهو العدل الذى ينادى به الإنسان لنفسه ، فما بال الحال بواضعه ــ فطريا ــ فى النفس البشرية ..!!!

وهكذا ؛ يمكن أن نقول ، بأن العلم ــ ببساطة شديدة ــ لن يقود إلا إلى معرفة وجود الله فحسب ، أما أن يقود العلم الإنسان إلى معرفة غايات الله (ﷻ) من خلقه للوجود والإنسان فهو أمر ــ جزما ــ غير وارد وبشكل مطلق . فالغايات من الخلق هى " **قضية متعالية** " يقوم الله ــ ذاته ــ بتعريفها وتحديد معالمها بشكل قاطع ومحدد ، فهى معرفة إخبارية إختبارية تمثل ــ فيما تمثل ــ ما نحن فيه مختبرون ، لأنها تمثل ــ فى الواقع ــ " **لغز الوجود** " ، إن جاز لنا استخدام هذا التعبير ...!!! وقد سبق وأن ناقشنا جانب من هذه المعرفة فى الكتاب السابق [١٥] ، ولكن للقصة بقية سنتناولها ــ الآن ــ بشىء من التفصيل .

٣ . حركة التاريخ ونهايته ...

كما سبق وأن رأينا فى الفصل الرابع أن بعض الفلاسفة قد نادوا بضرورة وجود حركة للتاريخ الإنسانى ، وأن هذه الحركة سوف تنتهى بشكل أو بآخر إلى " **علة غائية ما** " سوف يستقر عليها التاريخ فى نهاية الزمان أو الأيام . وقالوا بأن هذه الغاية النهائية لا يمكن ملاحظتها على مستوى الفترات الزمنية القصيرة فى تاريخ الشعوب ، ولكن " **ربما** " يمكن ملاحظتها والتنبؤ بها إذا ما تم دراسة التاريخ البشرى ككل على مدار تواجد الإنسان وتطور حضاراته .

---

[١٥] " **الحقيقة المطلقة ... الله والدين والإنسان** " لنفس مؤلف هذا الكتاب .

وقالوا بالرغم من وجود الفوضى والعشوائيات والحروب الوحشية التى يتسم بها التاريخ الإنسانى ، إلا أنه يمكن أن نتحسس هذه " **الغاية النهائية** " من ملاحظة الحركة الإجمالية للتاريخ ، حتى على الرغم من بطء هذه الحركة . وفشل الجميع ، بما فى ذلك الفلاسفة فى ملاحظة وتحديد هذه " **الغاية النهائية** " التى ينادون بوجودها ، والتى سوف يؤول إليها نهاية التاريخ الإنسانى المتوقع .

وجاء " **فرانسيس فوكوياما** " يتهادى إلى الساحة الفكرية ، واعتقد بأنه قد وجد ضالته المنشودة فى " **الديموقراطية الليبرالية** " ، وقال بأن هذا النظام ــ أى الديموقراطية الليبرالية ــ هو النظام الذى سوف تنتهى إليه حركة التاريخ الإنسانى وسوف يستقر عليها ، ***على اعتبار أنه النظام الذى سوف يحقق أقصى حد ممكن لإشباع كل من الرغبة والإعتراف العقلانى لدى الإنسان*** . وبهذا المعنى يكون التاريخ قد توقف عند هذا الحد ، وهنا تنتهى أحداث الحياة الإنسانية إلى تكرار نمطى لأحداث عادية لا جديد فيها ، حتى وإن كانت لا تخلوا من بعض الفروق الطفيفة التى يمكن التغاضى عنها . وبهذا تصبح أحداث الحياة خالية من أى تغيرات عنيفة ، مثل تلك الأحداث التى اتسم بها التاريخ القديم والحديث كالحروب والإبادة وأى صور أخرى من صور الصراعات المختلفة .

ويقع **فرانسيس فوكوياما** فى " **التناقض الذاتى** " عندما يشرح لنا : أن الخطر الأكبر على الديموقراطية الليبرالية سوف يتمثل فى وجود " **الميجالوثيميا الفردية** " ، أى إسباغ القيمة على العمل الفردى ــ مهما كانت رداءته ــ بدافع تحقيق " **تفوق الفرد** " على الآخرين ، وهو ما قد يؤدى إلى إشعال حروب أخرى لتحقيق هذا الدافع الذاتى . وهنا ينتبه فوكوياما إلى طبيعة الإنسان ، وطبيعة هذه الحياة الدنيا ، التى يذكرها لنا المولى (ﷻ) فى قوله تعالى :

﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (٢٠) ﴾

(القرآن المجيد : الحديد {٥٧} : ٢٠)

[**وفى الآخرة عذاب شديد** : لمن أخذ الدنيا بغير حقها ، ولم يحقق الغايات من خلقه / **ومغفرة من الله** : لمن أخذ الدنيا بحقها ، وحقق الغايات من خلقه]

وهكذا يظهر للتاريخ حركة أو حركات أخرى بعد " الديموقراطية الليبرالية " ، متمثلة فى تحقيق الإنسان " **لغايات أخرى** " فيما وراء التعايش فى ظل " **الديموقراطية الليبرالية** " ، منها تحقيق " **الميجالوثيميا الفردية** " أى تحقيق التفوق على الآخرين فى أعنف صوره ومعناه . وهكذا يلوح فى الأفق مرة أخرى العودة إلى مفاهيم مماثلة عن " **سيادة الجنس الآرى** " التى نادى بها " **هتلر** " من قبل ، وسيادة " **شعب الله المختار** " التى تنادى بها الصهيونية أو اليهودية اليوم ومن قبل . ***وبديهى*** ؛ جميعها تحرك الإنسان فى إطار قوله تعالى السابق :﴿ .. وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ .. ﴾ .

وهكذا لن تمثل " **الديموقراطية الليبرالية** " ــ التى قال بها **فوكوياما** ــ بأى حال من الأحوال " **نهاية للتاريخ البشرى** " أى الغاية النهائية للإنسان ، طالما يوجد بعدها غايات أخرى . كما يضيف ــ **فرانسيس فوكوياما** ــ أن الملل الإنسانى ، كناتج طبيعى من سير الأحداث على وتيرة واحدة ، هو دافع آخر يمكن أن يؤدى أو يدفع الإنسان إلى إشعال حروب أخرى على أخيه الإنسان .

وبديهى ؛ يمكننا ذكر غايات أخرى كثيرة **فيما وراء الديموقراطية الليبرالية** ، منها " **العته الدينى** " المتمثل فى " **الأصولية الدينية المسيحية** " [١٦] التى تتطلع إلى إشعال حرب أو حروب نووية (هرمجدون نووية) تحت دعوى الإسراع بعودة المسيح إلى الأرض ..!!! وهو ما يعنى أن لدى " **الغرب الخاوى** " غايات أخرى أيضا يتطلع إليها فيما وراء الديموقراطية الليبرالية ؛ متمثلة فى العيش مع " **المسيح** " لمدة ألف سنة (فحسب) ، وهى الفترة التى سيحكم فيها المسيح الأرض عقب عودته وانتصاره على " **قوى الشر** " . وبديهى لم يدرك الغرب ــ فيما يدرك ــ أن دعواه هذه تمثل أعنف مظاهر " **قوى الشر** " ، التى تتمثل فى " **الفكر الإبادى** " الوارد فى الهرمجدون النووية ..!!!

وهكذا ؛ تلوح فى الأفق " **تكرارية نمطية لنهاية التاريخ** " بمفهوم **فرانسيس فوكوياما** ..!!! أى أن الديموقراطية الليبرالية سوف تنتهى إلى حروب يشنها الإنسان على نفسه ، كناتج طبيعى من طبيعة خلقه وتكوينه النفسى (**النفس البشرية**) ، وطبيعة خلق وتكوين الحياة الدنيا ، وبهذا ينتهى الإنسان بتدمير حضارته بنفسه ، ليبدأ من جديد ليعود مرة أخرى إلى الديموقراطية الليبرالية .. وهكذا بتكرارية " **حشرية** " لا عقل فيها ..!!!

---

[١٦] أنظر الفصل الرابع : الأصولية الدينية ، والفصل الخامس : الديانة المسيحية .

والان ؛ ما هو موقف " حركة التاريخ الإنسانى " من منظور " **المرجعية الدينية المطلقة** " .. أى من منظور الديانة الإسلامية ..؟! **فهل يوجد للتاريخ الإنسانى حركة ما ..؟!** **وهل هذه الحركة تتجه نحو غاية بعينها ..؟!** **وهل هناك علاقة ما ـ أىْ علاقة ـ بين حركة التاريخ الإنسانى وبين الغايات من خلق الإنسان ..؟!** أم لا توجد إجابات لمثل هذه الأسئلة المثارة ..!!! ونبدأ الإجابة على كل هذه الأسئلة بقوله تعالى ..

﴿ يا أيـها الإنسانُ إنـكَ كادحٌ إلى ربِّك كَدْحًا فمُلاقيهِ (٦) ﴾

(القرآن المجيد : الانشقاق {٨٤} : ٦)

و " **الكدح** " ؛ هو جميع صور حركة الإنسان وسعيه نحو كسب عيشه ، **وهنا يصبح المعنى الرياضى** (**The Mathematical Meaning**) [١٧] المصاحب لهذه الآية الكريمة هو : أن الإنسان ـ فى خلال فترة وجودة فى هذا الكون المادى ـ يقوم .. وسوف يقوم .. بإجراء (سواء بوعى منه أو بدون وعى ، فهذا لا يهم) سلسلة من العمليات الإبتدائية أو الأولية المتتالية " **Successive Elementary Operations** " ، والتراكمية أيضا ، على مدار تقدمه العقلى والعلمى والحضارى . وأن هذه العمليات الأولية المتتالية سوف تقوده فى النهاية إلى غاية بعينها .. هى الوصول إلى معرفة " الله " (ﷻ) . وتتأكد هذه المعانى أيضا ، أى حركة التاريخ الإنسانى والعلة الغائية لنهاية التاريخ البشرى ، فى موقع آخر فى القرآن المجيد بنص مباشر ، فى قوله تعالى :

﴿ *وأنَّ إلَى رَبِّكَ الْمُنتهَى (٤٢)* ﴾

(القران المجيد : النجم {٥٣} : ٤٢)

وهكذا ؛ سوف تتسلسل الغايات حتى تصل فى النهاية إلى الغاية النهائية التى لا يوجد بعدها غاية أخرى ، وهى ﴿ *وأنَّ إلَى رَبِّكَ الْمُنتهَى* ﴾ ، وهو ما يعنى **نهاية التاريخ** . وهكذا ؛ يصبح القول بوجود أى " **غاية** " يقوم الإنسان بتعريفها ، ثم وجد بعدها " **غاية أخرى** " ، إنما يعنى أننا لم نصل بعد إلى نهاية التاريخ . وكما نرى من هذا النص الكريم ؛ أن نهاية التقدم العقلى

---

[١٧] يجد مثل هذا الفكر أصولة الرياضية فى " **الجبر الخطى : Linear Algebra** " ، وخصوصا فى العمليات الأولية التى يتم إجراؤها بشكل نمطى ومتتالى على " **مصفوفة ما** " للوصول بها إلى " **مصفوفة نهائية** " تمثل الغاية النهائية المطلوب الوصول إليها . والوقوف عند أى " **مصفوفة متوسطة** " تمثل فى حد ذاتها غاية متوسطة ، **ولكنها ليست بالغاية النهائية** .

والعلمى والحضارى للإنسان سوف يؤول أو ينتهى إلى المعرفة الحقة لله (ﷻ) ، وما تتضمنه ــ هذه المعرفة ــ من معرفة الغايات من الخلق .

وهكذا تنتهى " حركة التاريخ " إلى الله (ﷻ) ، وتصبح هذه هى العلة الغائية لهذا الوجـــود ، أى هى الغاية النهائية التى لا يوجد بعدها غاية أو غايات أخرى . وبديهى ؛ سوف يغلف الوجود ــ بعد هذه المعرفة ــ الوضوح فى أبهى معانيه ، حيث سيسعى الإنسان ــ كما يفرض عليـــه المنطق ذلك ــ إلى العمل على تحقيق الغايات من خلقه فحسب . وهو ما يعنى أن الإنسان سوف يقوم بإعداد نفسه ــ ببساطة شديدة ــ لتلقى واستقبال الأحداث الكونية المعممة التالية والمتوقعـة له فيما بعد فى سيناريو الوجود المقدر له ، ببصر وبصيرة نافذة لا لبس ولا غمـــوض فيـــها . وهنا أيضا ؛ يأتى الإنسان إلى نهاية تأويل القرآن المجيد ، كما جاء فى قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥٢) هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٥٣) ﴾

(القرآن المجيد : الأعراف {٧} : ٥٢ - ٥٣)

[أو نرد : إلى ما قبل تأويل القرآن المجيد]

وهكذا ؛ ترتبط نهاية التاريخ ارتباطا مباشرا أيضا بنهاية تأويل القرآن المجيد . وهكذا لابـد وأن تؤول " نهاية التاريخ " بشكل وجوبى إلى " الله " (ﷻ) ، وهنا يصبح تحرك الإنسان فى إطار قوله تعالى :

﴿ ... إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣) ﴾

(القرآن المجيد : الحجرات {٤٩} : ١٣)

ولهذا يجىء قول الرسول الكريم (ﷺ) عن بعثته :

" إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق "

ليخرج الإنسان من ذاتيته إلى تحقيق الغايات من خلقه ..

﴿ ... وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٦) ﴾

(القرآن المجيد : المطففين {٨٣} : ٢٦)

وهنا يصل تنامى الإنسان إلى التطلع إلى المثل الأعلى .. أى التطلع إلى الخلود .. والتطلع إلى اللامحدود .. أى التطلع إلى الله .. عز وجل ..

﴿ ... وَلِلَّـهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦٠) ﴾

(القرآن المجيد : النحل {١٦} : ٦٠)

وبديهى سوف نجد من يحتج ..!!! ويعتقد فى أن عمله هذا سوف يقوده إلى غايات أخرى غير ذلك ..!!! وهنا يأتى قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٣٩) أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ (٤٠) ﴾

(القرآن المجيد : النور {٢٤} : ٣٩ - ٤٠)

[قيعة جمع قاع (كـ : جبرة جمع جار) والقاع : ما انبسط من الأرض واتسع ، وفيه تحدث ظاهرة السراب / لجى : عميق . *وتحسب هاتين الآيتين الكريمتين من الآيات العلمية فى القرآن المجيد ، فى الإشارة إلى ظاهرة السراب ، ووصف البحار العميقة التى يسودها العواصف الشديدة*]

وهنا يصبح عمل الإنسان كسراب ، أى عمل لا يشبع الفطرة الإنسانية كما لا يفيد السراب فى وجود الماء ، وهنا تكون المفاجأة الكبرى للإنسان التى لم يكن ليحتسبها ، وهو أن عمله هذا قد قاده أيضا بشكل وجوبى إلى الله (ﷻ) ، حتى وإن كان لا يعنى بعمله هذا ، ليوفيه الله جزاءه لعدم تحقيقه الغايات من خلقه . أو يكون عمل الإنسان كظلمات فى خلفية مظلمة لن يراها أحد ولا قيمة لها .

٤ . الغايات من الخلق ...

من البديهى ؛ إذا كان المنهاج الدينى يمثل العلاقة المتبادلة بين الخالق والمخلوق ، فإن وجود الغايات من الخلق يحتم بأن يكون الدين هو البلاغ الصادر عن الخالق لتعريف المخلوق بالغايات من خلقه . فالدين ــ فى حد ذاته ــ يمكن أن يؤخذ دليلا على وجود الغايات من الخلق . أو بمعنى آخر ؛ لولا وجود الغايات من خلق الإنسان ما كان للدين ضرورة ، فالدين هو النتيجة الطبيعية من وجود هذه الغايات . ولهذا يصف المولى عز وجل قرآنه المجيد بقوله تعالى ...

﴿ هَذَا بَلاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ (٥٢) ﴾

(القرآن المجيد : إبراهيم {١٤} : ٥٢)

وهو ما يعنى أن " القرآن المجيد " هو البلاغ الصادر عن الخالق المطلق ***﴿ هَذَا بَلاغٌ لِلنَّاسِ ... ﴾*** ، لتحديد غاياته من خلقه للناس ؛ ***﴿ .. وَلِيُنذَرُوا بِهِ .. ﴾*** ***إنما يعنى ضرورة تحقيق الإنسان للغايات من خلقه*** . وأول هذه الغايات ***﴿ .. وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ .. ﴾*** . ***﴿ .. وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾*** إنما تعنى أن القرآن المجيد يخاطب " ***لب الإنسان*** " أى جوهر الإنسان الواعى ، أى العقل المدرك الذى يتلقى الحكمة ويتعظ بالذكرى .

*ويستكمل المولى (ﷻ) فى **حديثه القدسى*** [١٨] *منظور الغايات من الخلق بقوله تعالى :*

﴿ كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق فعرفونى ﴾

وهنا نرى التعميم الواضح فى الحديث القدسى ***﴿ .. فخلقت الخلق .. ﴾*** ، أى أن الأمر ليس مقصورا على خلق الكون والإنسان فحسب ــ كما يعتقد فى هذا الإنسان ــ بل يتعدى ذلك ليشمل كل أنواع المخلوقات فى هذا العالم ، والمخلوقات فى العوالم الأخرى تحقيقا لقوله تعالى :

---

[١٨] **العقيدة** " ؛ إصدار الأزهر الشريف . ص : ٤٠ .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ (٢٩) ﴾

(القرآن المجيد : الشورى {٤٢} : ٢٩)

[**السماوات** : الأكوان المتراكبة أو الموازية ، وكوننا ــ المادى ــ هذا واحدا منها (أنظر الفصل الأول) / **بث** : فرق / **دابة** : كلمة جامعة تستخدم للدلالة على المخلوقات بصفة عامة ، أى كل ما يدب على الأرض وما شابهها / **على جمعهم** : على جمع ما بث فيهما]

وهكذا يصبح للخلق غايات .. هى معرفة الله (ﷻ) . ويقولب المولى (ﷻ) رغبة الإنسان فى تحرى هذه المعرفة على نحو فطرى ، أى لا دخل لإرادة الإنسان فى السعى نحو طلب هذه المعرفة ، فهو سعى يقوم به الإنسان بأداء فطرى . ويخلق المولى (ﷻ) الإنسان ، ومعه عالم آخر هو عالم الجن ، على نحو يسعى ــ بانجذاب فطرى ــ إلى أداء العبادة ... كما جاء فى قوله تعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦) [١٩] ﴾

(القرآن المجيد : الذاريات {٥١} : ٥٦)

وعلى الرغم من وضوح القصد والغاية فى هذا النص الإلهى بأن العبادة ينبغى أن تنتهى إلى عبادة الله (ﷻ) ، إلا أن النص لا يلزم الإنسان بالتوجه بالعبادة إلى الله ، وخصوصا إذا قرأت ــ وهذا جائز ــ الكلمة الأخيرة بالسكون ﴿ .. *إِلاَّ لِيَعْبُدُنْ* ﴾ أى عبادة أى شىء ، بما فى ذلك الأوثان والنظم الوضعية . وبديهى يكون القصد والغاية موضوع ، وأداء " **الجن والإنس** " لهذه العبادة موضوع آخر ..!!! تماما كما تقول : " ما استأجرت هؤلاء العمال إلا لبناء البيت " ، فهذا قصدك وغايتك ، أما أن تقوم العمالة ذاتها بالعمل (أو بإحسان العمل) فهذا أمر متروك لها تماما ، ولكن ــ بديهى ــ لن تدفع إلا لمن يعمل ، ***فلا أجر بدون عمل*** . وهكذا القصد الإلهى من خلقه للخلق : هو عبادته بجميع صورها (وهو ما يعنى العمل على نحو مطلق) ، ولكن أن يقوم الخلق بعبادته فهذا أمر قد تركه المولى (ﷻ) تماما فى إطار الحرية الشخصية ، إن شاؤا عبدوا وإن شاؤا تركوا أو أعرضوا (**كما يبدوا من** ***ظاهر الفعل***) ..!!!

وقد يتمرد الإنسان على عبادة الله (ﷻ) ، ولكن ــ بديهى ــ كله فى إطار القدرة ، لقوله تعالى ..

---

[١٩] أنظر ــ كذلك ــ الفصل السابق بند : " ***قصة الوجود الإنسانى ــ المسعى نحو العبادة*** " .

﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (١٨) ﴾

(القرآن المجيد : الأنعام {٦} : ١٨)

*أى هو القادر على **قهر** عباده بما يريده منهم وبيغيه ، ولكنها غايات من الخلق .*

وهكذا يخرج الإنسان ــ من ضمن ما يخرج ــ **من المصنع الإلهى عقب ميلاده وتعقله ..** يسعى بعشوائية شديدة يبحث عما يجده ليعبده .. لا تحديدية فيه ..!!! تماما ؛ كما تخرج الحشرة من بيضتها ــ عقب ميلادها ــ تسعى بعشوائية شديدة فى كل اتجاه تبحث عما تقتات به لتبقى على حياتها ..!!! **وهكذا تصبح العبادة** جزء من الأداء الفطرى للإنسان (من بعد نضوجه العقلى) كالأكل والشرب والتناسل ..!!!

وهكذا يسعى الإنسان نحو عبادة أى شىء .. ***بواعثه فى هذا إدراكه الفطرى ، أى فى العقل اللاواعى ، بوجود إله خالق له ..!!!*** *ولكنه لا يتنبه لما ينبغى أن يقوم بعبادته* [٢٠] ..!!! **ولهذا يأتى القرار الإلهى الحاسم فى عدم حرية الإنسان فى التوجه للعبادة إلى غير " الله " (ﷻ) ، كما جاء فى قوله تعالى ..**

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ... (٢٣) ﴾

(القرآن المجيد : الإسراء {١٧} : ٢٣)

وهو القرار الذى ينهى أى مقولة حول حق الإنسان فى التوجه بالعبادة ــ فى أى صورة من الصور ــ لغير الله (ﷻ) . وقد يتنبه الإنسان ، أو قد لا يتنبه ، بأن هذه الآية الكريمة تقرر : بأن الإنسان يقوم بالعبادة فعلا .. حتى وإن اعتقد أنه قد تنكر لكل الأديان ..!!! كما تقرر بأنه يؤمن بإله .. حتى وإن اعتقد أنه قد أعرض عن كل الآلهة ..!!! وهكذا يصبح الإنسان مختبر فقط ــ فيما هو مختبر فيه ــ فى إدراك صحة التوجه إلى " الله " فحسب ..!!!

وهنا تصبح الغايات من خلق الإنسان هو الإختبار العقلى لمعرفة الدين الحق ، وهى المعرفة التى تقود الإنسان إلى المعرفة الحقة بـ " الله " عز وجل ..!!! وهكذا يصبح الفضل ــ إن

---

[٢٠] *ربما كان خير دليل على ذلك هو ما تم عرضه عن الأديان فى الفصل السابق .*

كان هناك فضل ــ لمن يدرك صحة توجهه بالعبادة إلى الله (ﷻ) .. لأن الإنسان يعبد فى ظاهره ، كما يعبد فى باطنه .. أدرك هذا أم لم يدرك ..!!! وتتوج صحة التوجه إلى الله (ﷻ) بشكل مباشر ، وبلا فلسفات ، فى قوله تعالى : لموسى (عليه السلام) وللبشرية جمعاء ..

﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (١٤) إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ (١٥) فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ (١٦) ﴾

(القرآن المجيد : طه {٢٠} : ١٤ - ١٦)

[إن الساعة آتية : أى يوم القيامة ، ويقصد الساعة التى يبعث فيها الله ــ سبحانه وتعالى ــ الخلائق لموقف القيامة القادمة / بما تسعى : لتثاب كل نفس بما تعمل من خير وشر / فلا يصدنك عنها : فلا يردنك عن التأهب لها / فتردى : فتهلك]

وليس لكائنا ما كان .. الحق فىّ تعريف الصلاة [٢١] ..!!! فالخالق وحده هو الذى يملك هذا الحق ولا أحد سواه .. لأنها غايات من الخلق ..!!! ويرى الإنسان ــ فيما يرى ــ كيف يؤدى المسلمين هذه الصلاة .. ولن أزيد ..!!!

وهكذا تتناهى غايات " الخالق " المطلق من الإنسان " المخلوق " فى قوله تعالى .. *﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ... ﴾* .. *أى لا معبود آخر سواه .. ثم يجعل " الصلاة " ﴿ .. وَأَقِمِ*

---

[٢١] لابد وأن أشير هنا إلى معنى الصلاة ، حيث ــ عادة ــ ما يسىء المستشرقين فهم معناها . فـ " الصلاة " بمعناها المطلق هو " الرحمة " أو " الدعاء " بالرحمة . فإذا قيل أن الله وملائكته يصلون على المؤمنين (والناس) ... كما جاء فى قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٤٢) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣) ﴾

(القرآن المجيد : الأحزاب {٣٣} : ٤١ - ٤٣)

إنما تعنى أن الله يتعهد المؤمنين (والناس) برحمته والملائكة تطلب لهم المغفرة والهداية ، ليخرجهم المولى ، عز وجل ، بعملهم من ظلمات الكفر والضلال إلى نور الهداية . فالصلاة هنا لا سجود فيها ولا ركوع ، بل هى رحمة من الله (ﷻ) ، لمساعدة إنسانه الضال ، على تحقيق الغايات من خلقه . وتأتى خصوصية هذه الرحمة للنبى (ﷺ) فى ذكره مستقلا ، وطلب المؤمنين الرحمة له بدعائهم .. كما جاء فى قوله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦) ﴾

(القرآن المجيد : الأحزاب {٣٣} : ٥٦)

الصَّلاةَ لِذِكْرِى ﴾ هى " دليل ذكر " الإنسان له (ﷻ) . وهكذا ؛ يوضع جوهر الوجـود فى العلاقة بين الإنسان وبين الله (ﷻ) فى " الذكر " . وقد يتنبه الإنسان أو قد لا يتنبه إلـى أن الإعراض عن ذكر الله (ﷻ) يحوى فى باطنه شقاء الإنسان وتعاسته فى حاضره ومسـتقبله معا . وتترى هذه المعانى فى قوله تعالى :

﴿ ... فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِى أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى (١٢٦) وَكَذَلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى (١٢٧) ﴾

(القرآن المجيد : طه {٢٠} : ١٢٣ - ١٢٦)

[**معيشة ضنكا :** تعنى المعيشة التعسة ، **والضنك** تأتى بمعنى التعاسة أى عكس السـعادة . وقيـل : المعيشة التىأوسع الله على الإنسان بالحرام . وقيل : أنها عذاب البرزخ أو القبر / **أعمى :** عن حجته ، وقيل : أعمـى البصر]

وطالما يتلخص الوجود إجمالا فى اختبار عقيدة الإنسان وحسن أداؤه لعمله ؛ فبديـهى يصبح أداء الصلاة ، بالنسبة للإنسان ، ليست بالشىء الهيّن أو السهل ، بل أداؤها يصبـح مـن الأمور الشاقة أو الصعبة على الإنسان ، ما لم يكن ــ هذا الإنسان ــ من الخاشعين ، حيث تأتى هذه المعانى ، وتعريف الخاشعين فى السياق القرانى التالى :

﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (٤٥) الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (٤٦) ﴾

(القران المجيد . البقرة {٢} : ٤٥ - ٤٦)

فهى قوانين وغايات من الخلق ..!!! والتوجه بالعبادة إلى الله (ﷻ) هـى رحمـة وعطـاء للإنسان ، حتى لا يدّعى مخلوق بأن له الحق فى عبادته [٢٢] ، وحتى لا يتوجه الإنسان إلـى أى مخلوق أخر ــ من دون الله ــ بالعبادة ..!!!

---

[٢٢] كما رأينا فى الباب السابق ، أن بعض الأباطرة أمثال : **كاليجولا** ، **ونيرون** ، **ودوميتيان** ، قد طالبوا النـاس بعبادتهم فى أثناء حياتهم ، وأن ينظر إلى كل منهم على أنه : **إلاها .. ومالكا للعبيد** " (أنظر الباب الخـامس : الديانة الهيللينية) .

ويأتى الانسان ذلك الجهول بحقيقة وجوده ... ويتساءل : وما مبرر ملكية هذا الإله لهذا الحق ... أى حق عبادته ...؟! [٢٣] *فيأتى الرد الأزلى بأنه ... هو ...*

﴿ ... اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (١٦) ﴾

(القرآن المجيد : الرعد {١٣} : ١٦)

[الواحد القهار : أى هو القادر على قهر عباده بالإيمان بما يريده ويبغيه ... ولكنها غايات من الخلق]

ولهذا يأتى الإعلان الإلهى للبشرية ...

﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) ﴾

(القرآن المجيد : البقرة {٢} : ٢١)

وهكذا يتحدد حق العبادة بأنها " لله " ... ﴿ ... الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ... ﴾ . ***وبهذا يتحرر الإنسان من عبودية الإنسان ... وبهذا يتساوى الإنسان بالإنسان ... !!!*** وبهذا المعنى تكون " **القضية الدينية** " قد حسمت بالنسبة للإنسان ... **وبلا فلسفات** . وبهذا المعنى يدخل " **العقل** " إلى " **القضية الدينية** " من أوسع أبوابها ... يدخل العقل للتعرف على الدين الحق ، والتعرف على الخالق الحق .. *وليصبح العلم هو شاهد الصدق على وجود الإنسان وعلى صحة توجهه إلى ما يعبد ..!!!*

فالقضية ــ إذن ــ ليست مجرد أديان .. كما وأنها ليست مجرد عبادة يؤديها الإنسان على أى نحو ، كما تؤدى الحشرة وظائفها بتلقائية غير واعية ..!!! بل هى " **قضية خالق** " قد خلق " **مخلوقا** " لتحقيق أهداف بعينها وغايات عليه تحقيقها . فالتوجه بالعبادة لا ينبغى أن يكون لغير الله (ﷻ) ، لأنه يعنى ــ فيما يعنى ــ عدم تحقيق القوانين السرمدية الخاصة بالغايات من الخلق ..

ولهذا تحسم قضية التوجه إلى غير الله (ﷻ) بقوله تعالى :

﴿ *إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا (٤٨)* ﴾

(القرآن المجيد : النساء {٤} : ٤٨)

---

[٢٣] " **الأصولية والعلمانية** " ؛ د. مراد وهبه . دار الثقافة ، سلسلة قضايا العصر . ص : ١٢ .

فالشرك ، أى التوجه بالعبادة إلى أى مخلوق آخر سواه [٢٤] ، معناه هلاك الإنسان ودماره لنفسه بنفسه ..!!! وها هو الجانب النفسى ..

﴿ ... وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (٣١) ﴾

(القران المجيد : الحج {٢٢} : ٣١)

فيصبح الإنسان فى خواء لا تحديدية فيه ... ويصبح الإنسان فى ضياع حيثما ذهب ...!!!

﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (٢٦) ﴾

(القران المجيد : التكوير {٨١} : ٢٦ - ٢٨)

والملك كله لله ..!!!

٥. العرض والقبول ...

ثم يأتى الإنسان ــ ذلك التائه الضال ــ والجهول بحقيقة وجوده ليحتج ، ويعترض على هذا الوجود على هذا النحو ، ويقول ، فيما يقول ..

لَبِسْتُ ثَوبَ العَيْشِ لَم أُسْتَشَرْ .:. وحِرتُ فيهِ بَيْنَ شَتّى الفِكَرْ [٢٥]

---

[٢٤] بما فى ذلك التوجه إلى عبادة عيسى (عليه السلام) ، أنظر " الملحق الثانى / وثنيات دينية " ، من هذا الكتاب ، لرؤية تنكر عيسى لكل من يقوم بعبادته .

[٢٥] تنسب هذه الأبيات الشعرية إلى الشاعر والرياضى والفلكى الفارسى ؛ عمر الخيام (١٠٤٨؟ - ١١٢٢ م) . وعمر الخيام هو الذى أصلح التقويم الفارسى بطلب من السلطان ملكشاه السلجوقى . وكان عمر الخيام من أشهر معتنقى مذهب " الحتمية : Determinism " : وهو المذهب الذى يقول بأن أفعال المرء وأحداث الطبيعة والظواهر الإجتماعية والسيكولوجية هى ناتج عوامل مسبقة لا سلطة للمرء عليها . وقد تأتى " الحتمية " بمعنى " الجبرية " أيضا ، أى الإيمان بالقضاء والقدر . ومن أبرز معتنقى مذهب " الحتمية " فى العالم الغربى أيضا العالم الفرنسى " لابلاس : Laplace " ، وهو من الذين فلسفوا هذا المذهب . وقد اشتهر عمر الخيام ، بمجموعته الشعرية المعروفة باسم " الرباعيات " أو " رباعيات الخيام " . وهى الأبيات التى يمجد فيها الخيام " المتعة الحسية " ، وكان يقول بأنها هى " هدف الحياة الأوحد " . ومن هنا كانت دعوته للناس للنهل من اللذات قبل أن يعتصر الثرى (أى التراب) أجسادهم .

obeikandl.com

وتتجلى الرحمة الإلهية بالإنسان .. ليقول له .. *كلا .. لقد استشرت ..!!!* نعم لقد أستشـــرتك قبل مجيئك إلى هذا الوجود .. بل وقد استشرتك أن تجيء على مثل هذا النحو ، وقلت لك إنـــها غايات من خلقك ، وقد قبلت ــ أنت ــ هذا العرض وعلى هذا النحو ، واسمع ..

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً (٧٢) ﴾

(القرآن المجيد : الأحزاب {٣٣} : ٧٢)

[عرضنا الأمانة : التكاليف من أوامر ونواه / فأبين : امتنعن / أشفقن منها : خفن من الخيانة فيها]

وهكذا يعرض الله (ﷻ) **﴿ .. الأَمَانَةَ .. ﴾** وهى حرية الإختيار فى التوجه بالعبادة والفعـــل إلى الله أو إلى غير الله [٢٦] ، على **﴿ .. السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا .. ﴾** ، فرفضوا جميعا هذا الإختيار [٢٧] وأدركوا أنهم ــ جميعا ــ دون هذه المسئولية ، لـــهذا **﴿ .. أَشْفَقْنَ مِنْهَا .. ﴾** أى إمتنعن عن حملها رحمة وشفقة بذاتهم ، ولكن عندما عرضـــها الله ــ سبحانه وتعالى ــ على الإنسان نجده قد قبل هذا العرض ، أى قبل حمل هذه الأمانـــة ، أو هـــذه المسئولية فى الإختيار **﴿ .. وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ .. ﴾** ، ولكنه لم يعطها العناية الكافية ، رغم قبوله لهذه الأمانة ، لهذا فـــ **﴿ .. إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾** .

وبديهى ؛ يفصح القبول الإنسانى عن نفسه بوجوده فى هذا الوجود باختياره ، فى صورة حبـــه الشديد لهذه الحياة الدنيا وتشبثه بها ، وكراهيته الشديدة للموت ورهبته منه ، وهو ما يعنى عـــدم رغبة الإنسان فى مغادرة هذا الوجود ..!!!

---

[٢٦] تؤخذ مثل هذه الآيات ــ الغيبية ــ الإخبارية ، على أنها مسلمات جزئية (Subset) تقع ضمـــن **المُسلمة الأساسية** (Universal set) التى تقول بأن : " **الديانة الإسلامية ديانة صحيحة** " . وبديهى عند البرهنـــة علـــى صحة المسلمة الأساسية ، تكون بالتبعية قد أقمنا البرهان على صحة المسلمة الجزئية .

[٢٧] بهذا المعنى **﴿ .. فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا ... ﴾** يصبح القانون الطبيعى ليس له إرادة أو مشيئة ما ، فى الكـــف أو التوقف عن الفعل عندما يشاء ، وليس هذا غيبا .. ولكنه اعتياد رؤية لواقع نحياه . وبهذا المعنـــى نجـــد أن مذهب " **الحتمية : Determinism** " ــ راجع تذييل رقم ٢٥ السابق ــ ينطبق على السماوات والأرض والجبال ، ولكنه لا ينطبق على الإنسان نظرا لحريته فى الإختيار فى الحيز المتاح له . وبالتالى فإن تعميم فكر " **الحتميـــة** " ليشمل الإنسان هو فكر خاطىء . ***وهكذا يخرج الإنسان من النص السابق من " الجبرية " إلى " الحرية " .***

٦. العقلنة الدينية ...

فى الحقيقة ؛ لم يودع العقل فى الإنسان على هذا النحو إلا لتحقيق الغايات من خلقه ..//// **وهكذا يركب المولى (ﷻ) العقل الإنسانى بالقدرات الكافية** التى تمكن الإنسان من المعرفة الحقة لله (ﷻ) لتصبح قضية الوجود قضية إختبارية دون مستوى ذكاء الإنسان الفطرى . ومن ثم ينزل المولى (ﷻ) " قرانه المجيد " يحوى برهانه الذاتى وبرهانه العام ، **كما جاء فى قوله تعالى :**

﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا (١٧٤) ﴾

(القران المجيد : النساء {٤} : ١٧٤)

كما ينزل الإنسان إلى هذا الوجود بذاكرة فطرية بأن عليه أن يعبد .. ويبحث الإنسان فى نفسه عن ذلك الخفاء ليجد ما يعبده .. فلا يجده .. ولكن " الله " (ﷻ) قد ترك العقل لديه ، ليقوده ذلك العقل إليه . **وتتناهى العقلنة الدينية فى قوله تعالى :**

﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (١١٧) ﴾

(القران المجيد : المؤمنون {٢٣} : ١١٧)

أى أن البرهان ــ كما سبق شرح هذا فى المرجع السابق ــ مطلوب حتى فى " قضية الشرك بالله " . فغير مقبول أن يشرك الإنسان ــ بالله ــ ببلاهة ، أو بدون إمعان للفكر ، أو بتغييب العقل ، أو أن يشرك الإنسان كنتيجة لميراث عقائدى أحمق بدون إعمال العقل فيه . وبديهى إن السعى لإيجاد برهان للشرك بالله ، لن يؤدى بالإنسان المشرك إلا إلى الإيمان بوحدانية الله وتفرده بالخلق ..

وننتهى من هذه الآية الكريمة ــ أيضا ــ بأن **غاية الوجود الأساسية هو التعرف العقلى على الديانة الحقة ، لأن كل ما عدا ذلك هو ــ فى الواقع ــ نتيجة تابعة لها ، بل ويمكن أن يستنتج منها** . ويأتى هدى الله (ﷻ) للإنسان ، فيرفضه بلا دليل لديه ، ويتشبث بــ " صنم الآباء " ، مهدرا عقله على هذا النحو المتردى ..

﴿ ... إِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ (١٧٠) ﴾

(القرآن المجيد : البقرة {٢} : ١٧٠)

ثم يقول صاحب الديانة الوثنية ..

﴿ ... حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ (١٠٤) ﴾

(القرآن المجيد : المائدة {٥} : ١٠٤)

عجبي *..!!!!* فاتباع الآباء بدون إعمال الفكر (خصوصا إذا كان الآباء **لا يعقلون** أو **لا يعلمون** شيئا ولا يهتدون [٢٨]) إنما يُعَرِّض الإنسان ببساطة شديدة ـ بهذا المنطق الخاطيء ـ إلى قطع صلته الحقيقية بخالقه . وبديهي بالتالي ؛ **عليه أن يدفع ثمن ـ وهو ثمن فادح ـ لهذا المنطق المعوج لأنه لن يحقق الغايات التي خلق من أجل تحقيقها .** *وهكذا يرفض الإنسان ـ في ما يرفض ـ تحكيم عقله وعلمه في القضية الدينية* [٢٩] *...!!!! وبديهي والحال كهذا ؛ يأتي تنبيه المولى (ﷻ) للإنسان بقوله تعالى :*

﴿ وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً (٧٢) ﴾

(القرآن المجيد : الإسراء {١٧} : ٧٢)

[أعمى : عن قدرة الله في خلقه ، وهو المنفرد فيها بالخلق والتقدير / فهو في الآخرة أعمى : عن حجته]

فالعقل ـ إذن ـ مطلوب في الدين بمنتهى قدراته ..

---

[٢٨] لاحظ الإحاطة الإلهية في الفرق بين الصياغتين السابقتين . فالآية الأولى إنما تعني عدم عقلانية أو قصور فهم الآباء ، بينما الآية الثانية تعني عدم علم أو جهل الآباء ؛ وبديهي أيا من الصفتين تؤدي إلى عدم الهداية .

[٢٩] من الطريف أن يقول مطران المارونية ـ نصر الله صفير ـ بلبنان : " إن أسوأ أطرش هو من لا يريد أن يسمع " ..!!! ولم يدرك أنه أول من لا يريد أن يسمع ..!!! وبديهي السمع وحده لا يكفي ، فالعقل يجب يكون مصحوبا بالسمع .. فلا قيمة لسمع بلا عقل ..

﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠) فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ (١١) ﴾

(القرآن المجيد : الملك {٦٧} : ١٠ – ١١)

[السعير : النار]

فالوجود والغايات من الخلق ــ إذن ــ هى المعرفة العقلانية للديانة الحقة ، والديانة الحقة تقود ــ فيما تقود ــ إلى معرفة الله (ﷻ) وعدم الإشراك به . وتحقيق الغايات من الخلق تقود الإنسان ــ فيما تقود ــ إلى سعادة الإنسان ونجاته .. ولهذا كان قوله تعالى ..

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤) ﴾

(القرآن المجيد : الأنفال {٨} : ٢٤)

[دعاكم لما يحييكم : للحق الذى فى القرآن / يحول بين المرء وقلبه : إذا أقبل عليه الهوى . فهو منقذه منه]

وعلى هذا فالإستجابة لله ولرسوله .. إنما تعنى الحياة ــ لهذا المؤمن ــ التى لا بعدها حياة أفضل ..!!! والإستجابة والإيمان بالديانة الحقة .. إنما تعنى الإيمان بالحقيقة المطلقة ؛ وهى حقيقة لها براهينها الراسخة والدالة على صدقها ..

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا ٣٠ نَّهْدِى بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٢) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِى لَهُ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ (٥٣)﴾

(القرآن المجيد : الشورى {٤٢} : ٥٢)

فالرسالة الإلهية واحدة من قبل ، ومن بعد .. والغايات من الخلق واحدة من قبل ، ومن بعد .. لهذا كان قوله ــ تعالى ــ لـ " محمد " (ﷺ) وللبشرية ..

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنَاْ فَاعْبُدُونِ (٢٥) ﴾

(القرآن المجيد : الأنبياء {٢١} : ٢٥)

---

٣٠ هذه إحدى الأشارات العلمية فى القرآن المجيد ، حتى فى حالة التشبيه والمجاز ، فالقرآن المجيد يأتى دائما بمعنى " النور " بأنه الضوء المنعكس من الجسم المعتم ، وليس الضوء الصادر من الجسم المشع بذاته . فطالما أن القرآن صادر عن الله (ﷻ) فإنه يعكس بهذا المعنى الضوء الصادر عن الله ، وليس القرآن المجيد هو مصدر الإشعاع بذاته .

وهكذا لم يكن محمد (ﷺ) بأول من قال بهذا .. فهو واحد من ضمن القائمة .. قائمة الهداية البشرية .. لهذا كان قوله تعالى له ..

﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٩) ﴾

(القران المجيد : الأحقاف {٤٦} : ٩)

ولم يقال له إلا ما قد قيل للرسل من قبله ...

﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ (٤٣) ﴾

(القرآن المجيد : فصلت {٤١} : ٤٣)

أى هى رسالة واحدة .. وليست رسالات ..!!! أى هو إله واحد .. وليست الهة ..!!! أى هو دين واحد .. وليست أديان ..!!! أى هى حقيقة مطلقة واحدة .. وليست حقائق .. ولهذا يأتى تعريف المولى (ﷻ) لدينه [٣١] بقوله تعالى ..

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ... (١٩) ﴾

(القرآن المجيد : آل عمران {٣} : ١٩)

أى هى إسلاما وليست يهودية .. أى هى إسلاما وليست مسيحية .. أى هى إسلاما وليست أى ديانة أخرى ..!! وبديهى لن تتحقق العبادة إلا بمعرفة المنهاج ، وبديهى إن الإعراض عن هذا المنهاج إنما يعنى ضلال الطريق وعدم تحقيق الغايات من الخلق ، لهذا كان قوله تعالى عن منهاجه ..

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الأخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ (٨٥) ﴾

(القران المجيد : آل عمران {٣} : ٨٥)

وليس فى القضية نبرة تعصب ، أو إشارة ما إلى هذا المعنى من قريب أو من بعيد . فمن الأمور البديهية ؛ طالما أن الديانة الإسلامية تمثل المنهاج الذى يبين الغايات من الخلق ، فإن أى توجه إلى أى ديانة أخرى [٣٢] سوف تؤدى إلى عدم تحقيق المنهاج ..

---

[٣١] تم التعرض لتفسير هذه المعانى فى مرجع الكاتب السابق : " **الحقيقة المطلقة ... الله والدين والإنسان** " .

وبهذه المعانى .. يصبح الدين ضرورة تحتمها تعريف الإنسان بالغايات من خلقه ... وبهذه المعانى .. لا يكون الدين ترفا فكريا أو رفاهية فلسفية يمكن الأخذ بها أو تركها ، بل يصبح الدين هو قدر الإنسان وحتميته .. وبهذه المعانى .. يصبح الدين هو البيان الصادر من الخالق (ﷻ) للإنسان المخلوق ..

﴿ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (١٣٨) ﴾

(القران المجيد : آل عمران {٣} : ١٣٨)

وبهذه المعانى يصبح " الدين " هو : " المنظومة العلمية المتعالية الصادرة عن الخالق " لتعريف الخلق به وبفعله الإلهى الكلى ، كما يبين فيه جملة القوانين السرمدية العليا التى يخضع لها الوجود الإنسانى ومصيره . ويرسم الخالق ــ فى هذه المنظومة ــ الطريق الصحيح الذى يبين للإنسان كيفية تحقيقه لهذه القوانين التى تعينه على تحقيق الغايات من خلقه ؛ حتى يضمن الخلاص وحسن المصير فى العوالم المتتالية والمقدر له الظهور فيها فيما بعد . وتمثل هذه الأحداث تسلسل الفصول المختلفة فى سيناريو القصة الواحدة ؛ أى قصة وجود الإنسان وطبيعته الممتدة والمتوقعة له على طول وجوده السرمدى أو على طول ما يشاء له الله من البقاء فى هذه العوالم .

٨. حتمية تحقيق الإنسان للغايات من خلقه ...

وبعد كل ما قيل .. يأتى الإنسان ليتمرد ــ فيما يتمرد ــ على تلك القوانين .. فيأتى له الحسم الإلهى فى قوله تعالى ..

﴿ ... إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٦٠) ﴾

(القرآن المجيد : غافر {٤٠} : ٦٠)

[داخرين : صاغرين ومذلولين]

---

٣٢ أنظر ــ الكتاب السابق : الحقيقة المطلقة : الله والدين والإنسان ــ بند ١٧ : فدين مصدر الإله أم الإله مصدر الدين (كلمة حول معنى التعدد والتوحيد) .

والغريب أن يعكف الإنسان على عبادة أى شىء غير الله .. يعبد النظم الوضعية .. يعبد الفلسفات .. يعبد الطواغيت .. حتى يصل به الأمر إلى عبادة الأصنام .. وحتى عبادة الشيطان ..!!! ويعرض الإنسان عن " العقل " الذى أهله الله (ﷻ) به ، والذى يمكن أن يقوده إليه وبدون أى عناء .. ولهذا تأتى الخاتمة .. ولهذا تأتى نهاية ذلك الإنسان الغافل فى قوله تعالى ..

﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضاً (١٠٠) الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً (١٠١) أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً (١٠٢) ﴾

(القرآن المجيد : الكهف {١٨} : ١٠٠ - ١٠٢)

أوعى الإنسان .. قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً ﴾ .. وقمة " الذكر " .. هى الصلاة كما رأينا . إننا معشر الإنسان ليس لنا الخيار من قبل كما ليس لنا الخيار من بعد ، فى قبول " الدين " أو الإعراض عنه ، *بعد أن قبلنا حمل الأمانه* . إن الخطأ فى تشخيص قوانين الوجود ــ التى يخضع لها الإنسان ــ يؤدى تلقائيا إلى هلاك الإنسان وخسران مصيره [٣٣] ، وذلك كنتاج طبيعى من عدم تحقيق هذه القوانين المحددة له سلفا ، والتى تحكم وجود الإنسان ومصيره . فتلقائية المصير تتحقق بشكل مباشر فى قوله تعالى :

﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا (١٣) اقْرَأْ كِتابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ اليَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (١٤) ﴾

(القران المجيد : الإسراء {١٧} : ١٣ - ١٤)

[ألزمناه طائره : ما قضى له ــ فى العلم الإلهى السرمدى ــ أنه عامله وما هو صائر إليه]

وهو ما يعنى أن الإنسان ، وبدون تدخل خارجى ، سوف يلقى مصيره تلقائيا . وأرجو أن يتنبه الإنسان إلى قوله تعالى : ﴿ اقْرَأْ كِتابَكَ .. كَفَى بِنَفْسِكَ اليَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ . وهكذا لم

---

[٣٣] تماما مثل الخطأ فى تصميم أساسات عمارة ما ، سوف يؤدى إلى إنهيارها . فالقوانين الفيزيائية سارية المفعول بغض النظر عن طبيعة الأشياء التى تأتى تحت طائلها .

يحقق الإنسان الغايات التى خلق من أجلها .. وهكذا لم يحقق الإنسان الغاية من إستخلافه على الأرض .. كما لم يحقق الإستفادة من عقله .. وبهذا كان عليه ان يدفع الثمن عن كل هذا .. فليس هناك أعذار ..

﴿ بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ (١٥) ﴾

(القرآن المجيد : القيامة {٧٥} : ١٤ - ١٥)

فالإنسان عليه رُقَباء ..

﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ (٢٥) ﴾

(القرآن المجيد : النور {٢٤} : ٢٤ - ٢٥)

فكلمته مرصودة ، وكسبه مرصود ، وحركته مرصودة ، ولن يُسْمَعْ إلى معاذيره ..

﴿ يَوْمَ لا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٥٢) ﴾

(القرآن المجيد : غافر {٤٠} : ٥٢)

والظالمين ــ هنا ــ هى كلمة عامة جدا ، تشمل كل أنواع من ظلم الاخرين ، وكل من ظلم نفسه **بعدم التنبه إلى دور الدين فى حياة الإنسان** ، بل وقام بإهدار عقله على نحو مترددٍ ولم يتنبه إلى أن **الإيمان المبنى على العقل هو غاية غايات الوجود** ، وإلا لما ركب العقل بهذا الشكل وعلى هذا النحو فى الإنسان .

كما يجب التنبه ــ أيضا ــ إلى أن الحضارات .. تضل الحضارات ..

﴿ ... وَشَهِدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (٣٧) قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لَّا تَعْلَمُونَ (٣٨) وَقَالَتْ أُولاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ (٣٩) ﴾

(القرآن المجيد : الأعراف {٧} : ٣٧ - ٣٩)

[أمم : جمع أمه ، وهى تعنى الحضارة بمعناها الشامل الذى يضم عدة أمم بعضها مع بعض / قد خلت : قد مضت / اداركوا : اجتمعوا فيها جميعا / أضلونا : عن سبيلك]

فهى غايات من الخلق .. مطلوب من الإنسان تحقيقها ..!!!

ويتناهى التوجه إلى غير الله (ﷻ) فى الأديان الوثنية الأخرى بالخسران المبين .. حيث تـأتى هذه الخاتمة للأتباع والمتبوعين ، فى قوله تعالى ..

﴿ ... وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (١٦٥) إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ (١٦٦) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ (١٦٧) ﴾

(القرآن المجيد : البقرة {٢} : ١٦٥ - ١٦٧)

[**وتقطعت بهم الأسباب** : أى ليس هناك أسبابا يمكن أن يقولها الآئمة للشعب حتى يقوم الشعب باتباعهم . كما لا يوجد أسبابا يمكن أن يقولها الشعب لتبرير اتباعه للأئمة ، فالذنب ــ هنا ــ واقع على الطرفين ، وكلاهما فى النار . **وموقف الآئمة هنا هو نفس موقف الشيطان من إضلال الناس** ، كما سنرى فى آية لاحقة . كما يمكن أن تستوعب كلمة " **الأسباب** " أيضا معنى **الوصل** الذى يمكن أن يكون بين الأئمة والشعب فى الحياة الدنيا من الأرحام والمودة وخلافه / **حسرات** : جمع حسرة ، والحسرة هى أشد الندامة]

فهل وعى الإنسان ﴿ ... أَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ ، وهل وعى الإنسان ﴿ ... وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ ﴾ ، وهل وعى الإنسان ﴿ ... كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ ، لأنهم لم يحققوا الغايات من خلقهم .

ومازلت أكرر ، إننا لسنا بصدد " **قضية تبشيرية بدين** " ، بقدر ما نحن بصدد " **قضية خلاص الإنسان نفسه ونجاته** " ، إذا ما حقق الغايات من خلقه .. وليت الإنسان يعى هذا ..!!! وكما سبق وأن أكدت ، وكما أؤكد هنا مرة أخرى .. أن " **القضية الدينية** " ليست " **قضية صراع بين حضارات مختلفة** " أو " **قضية صراع بين أيديولوجيات مختلفة** " ، كما وأنها ليست " **قضية تبشيرية** " فى أديان تتخبط فى تحديد هوية أصنامها . وهى أيضا ليست " **قضية سياسية** " لكسب " أتباع ما أو أرض ما " . ولكنها " **قضية بلاغ** " الإنسان بوجود الغايات من خلقه ، وعليه تحقيق هذه الغايات . فالقضية الدينية ــ فى الواقع ــ هى " **قضية وجود الإنسان**

ذاته ومصيره هو " ، وليس وجود ومصير الآخرين ..!!! ذلك الإنسان الذى سرعان ما سيدب فيه الفناء وتدركه الشيخوخة ، هذا إن لم يدركه الموت قبل ذلك ، ليغادر هذه الحياة إلى اليقين الكامل ..!!! ليقف وجها لوجه ــ بحواسه كاملة ــ أمام الحقيقة المطلقة ، حيث يكون هو الخاسر الوحيد لنفسه فى هذا الوجود ، إذا لم يتنبه إلى المعنى الحقيقى للقضية الدينية ، وبهذا تفوته الفرصة الوحيدة لتحقيق الغايات من خلقه ، لأنه لم يدرك المعنى الحقيقى من وراء وجوده .. ومن وراء وجود هذا الوجود ..!!!

﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٩٤) ﴾

(القرآن المجيد : الأنعام {٦} : ٩٣)

[التخويل : هو إعطاء من يملك السلطة .. سلطة إلى من لا يملك ولا سلطة له]

وبديهى تعنى ﴿ .. وَتَرَكْتُمْ مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ .. ﴾ أن الإنسان فى حقيقة أمره لا يملك من الدنيا ومن حطامها شيئا ، حتى وإن تراءى له غير ذلك .. وحتى إن بدَى له أنه يملك كل شىء ..!!!

٩ . والتوجه إلى الشيطان ...

لا يقتصر معنى " **الشيطان** " ــ فى القرآن المجيد ــ على المعنى الميتافيزيقى الغير مرئى ، بل يمتد هذا المعنى ليشمل **الإنسان الكافر وأنظمته الوضعية** أيضا .. بقوله تعالى :

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (١١٢) ﴾

(القرآن المجيد : الأنعام {٦} : ١١٢)

[زخرف القول غرورا : معنى يندرج تحته كل **الأنظمة الوضعية** التى تدعوا إلى الإعراض عن المنهاج الإلـــهى الحق ، كالماركسية مثلا ، وتبدوا فى ظاهرها صحيحة وهى خادعة / **فذرهم** : أتركـــهم / **ومـا يفـترون** : يبالغون فى قول الباطل بدعوى أنه الحق]

وهى اية يحمل تأويلها طيف عريض من المعانى التى تتدرج تحتها كل الأنظمة الوضعية التـــى تدعوا إلى الإعراض عن المنهاج الإلهى الحق ، والتى ينبغى الإعراض عنها .

ويتردى الإنسان فى العبادة .. وفى التوجه إلى غير الله .. حتى تصل به الغفلـــة إلـــى عبـــادة **الشيطان نفسه** [٣٤] **وأنظمته الوضعية المختلفة** ، وبهذا يغفل الإنسان عن عهده الفطرى مـــع الله (ﷻ) ..

﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَـــيْكُمْ يَا بَنِى آدَمَ أَنْ لَّا تَعْـــبُدوا الشَّـــيْطَانَ إِنَّـــهُ لَكُـــمْ عَـــدُوٌّ مُّبِـــينٌ (٦٠) وَأَنْ اعْـــبُدُونِى هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٦١) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (٦٢) هَـــذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِى كُـــنْتُمْ تُوعَدُونَ (٦٣) اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٦٤) ﴾

(القرآن المجيد : يس {٣٦} : ٦٠ - ٦٤)

ويتمثل هذا العهد الفطرى لدى الإنسان فى العقل الذى أودعه الله فيه .. **﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴾** . فتأهيل الإنسان بالعقل هو ــ باختصار شديد جدا ــ إنما لتمكيـــن الإنسان من تحقيق الغايات من خلقه . ولهذا تحسم قضية عدم إستفادة الإنسان مـــن عقلـــه فـــى القضية الدينية فى قوله تعالى .. **﴿ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِى كُـــنْتُمْ تُوعَدُونَ ... اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾** . والتوجه إلى **الشيطان يتم بكامل حرية الإنسان واختياره** ، فلا سلطة للشـــيطان على الإنسان على أى نحو .. لقوله تعالى للشيطان ..

---

[٣٤] " **الديانة الشيطانية : Satanism** " هو فكر نابع من نصوص " **الديانة المسيحية** " بشكل مباشر . ونشـــأت هذه الديانة من الإعتقاد بوجود قوتين عليتين أحداهما للخير ، والأخرى للشر . **وتؤمن هذه الديانة بأن الشـــيطان خلف كل العمليات الطبيعية ، كما تؤمن بالسحر الأسود والعرافة وقوى الظلام التى لا ترضيها إلا إراقة الدمـــاء** ، وطقوس أخرى مماثله لها . وتضيف موسوعة " **جروليار الإلكترونية** " ، بأن " إحتفالات هذه الديانة بمـــا فيـــها **القداس الأسود ــ الخاص بها ــ هى سخرية من الشعيرة أو المذهب المسيحى :**

In Christiasn Cultures these ceremonies include the Black Mass, a mockery of the Christian rite ."

للتفاصيل أنظر التفاصيل : " **الحقيقة المطلقة : الله والدين والإنسان** " ، لنفس مؤلف هذا الكتاب

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (٤٢) وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣) ﴾

(القران المجيد : الحِجْر {١٥} : ٤٢ – ٤٣)

فهل وعى الإنسان قوله تعالى للشيطان : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ .. ﴾ . ويعترف الشيطان بواقع هذا الأمر – فى النهاية – للإنسان ..

﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٢) ﴾

(القرآن المجيد : إبراهيم {١٤} : ٢٢)

فهل وعى عبدة الأوثان مقولة الشيطان لهم : ﴿ ... إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ..!!! وهل وعى عبدة الأوثان مقولة الشيطان لهم : ﴿ .. إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ .. ﴾ ..!!! وهل وعى عبدة الأوثان مقولة الشيطانُ لهم : ﴿ ... وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم .. ﴾ ، فهل أدرك الإنسان .. ﴿ .. إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي .. ﴾ . ثم ينتهى الشيطان إلى القول .. ﴿ .. مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ .. ﴾ ، أى أنه لن يغيثكم أهل الضلال مما أنتم فيه .. كما لن تغيثوه مما هو فيه ..!!!

ثم يبقى الإنسان ذلك التائه – على الرغم من كل ما قيل – حيرانا فى اختيار الهدى .. فيقف ..

﴿ .. كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٧٠) ﴾

(القران المجيد : الأنعام {٦} : ٧١)

١٠ . ونهاية التاريخ ... والإنتهاء الوجوبى للوجود

لابد لى وأن أؤكد ــ كما أكدت سابقا ــ على ما قاله المؤلفين والمفكرين الغربيين أنفسهم ؛ *من أن الهوية الأوربية ذاتها قد نشأت من العداء للإسلام* ، وأن أوربا كانت بلا هوية فكرية ولا تجمعها ثقافة واحدة حتى بداية الحروب الصليبية ، وأن تلك الحروب هى التى جمعت شمل القبائل والشعوب الأوربية ذات الثقافات والهويات المختلفة على قاعدة واحدة ، هى قاعدة العداء للإسلام ، حيث بدأت الهوية والثقافة الأوربية تتشكلان منذ هذا التاريخ ، ومن خلال الوحدة فى هذا الصراع . فإذا أضفنا إلى هذا الفكر السابق ، الفكرالناتج عن التجربة الدينية الفاشلة والتى خاضها الإنسان مع كل من الديانتين ــ الوثنيتين ــ اليهودية والمسيحية .. والتى إنعكست آثارهما عليه ــ أى على الإنسان ــ فى صورة واقع عقلى مرير أدى إلى تنكر الإنسان للدين والتدين على نحو مطلق [٣٥] .. لأصبحت الديانة الإسلامية ــ من هذا المنظور الغربى الخاطىء للدين ــ هو ذلك الكابوس الكئيب الذى يجب على الإنسان العلمانى أو الملحد بوجه عام ، والإنسان الغربى بوجه خاص ، ضرورة التخلص منها بأى شكل من الأشكال ، وبأى صورة من الصور .

وفى الحقيقة ؛ إن قيام الإنسان بمثل هذا العمل إنما يقوم بقطع صلته تماما بخالقه ، وبذلك لن يجنى إلا على نفسه بنفسه أولا وأخيرا ، ويكون بهذا الفعل هو الخاسر الوحيد لنفسه ، وليس أحد سواه . وبهذا المفهوم ــ أيضا ــ يضع الإنسان حائلا ضخما بينه وبين الحقيقة المطلقة التى تحول دون رؤيته لها .. وهى الحقيقة التى سوف يلقاها ــ فى أى لحظة ــ بحواسه كاملة شاء هذا أم أبى . لذا فأنا أكرر وأؤكد بأن على الإنسان ضرورة التروى فيما يتخذ من قرارات بشأن كل من " القضية الدينية " و " قضية وجود الخالق المطلق " . كما يجب عليه إعطاء هذه القضايا العناية الكافية من الدراسة والنقد والتحليل ، حتى يمكنه الوصول إلى شكل قاطع ونهائى حولها ، وحول معانيها .

كما ينبغى أن أشير ــ هنا ــ إلى أن مفهوم قضاء الإنسان على " الإسلام " إنما يعنى ــ ببساطة شديدة ــ قضاء الإنسان على نفسه .. وبديهى أن هذا لن يسمح به الخالق (ﷻ) ، رحمة بهذا الإنسان الجاهل والغير واعى لما يفعل .. لهذا كان تنبيهه لهذا الإنسان الغافل والجاهل معا ، بقوله تعالى :

---

٣٥ - الحقيقة المطلقة : الله والدين والإنسان " ؛ لنفس مؤلف هذا الكتاب .

﴿ هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٢٤)﴾

(القران المجيد : التوبة {٩} : ٣٣)

وليس فى معنى ﴿ .. لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ .. ﴾ نبرة تعصب ما ، أو أن " القضية الدينية " هى " **قضية صراع** " بين الأديان ينتصر فيها الإسلام على هذه الأديان ، فمثل هذه المعانى القاصرة لا تشير إليها الاية الكريمة . ولكن معنى ﴿ .. لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ .. ﴾ هى الرحمة الممتدة من الله (ﷻ) بالإنسان الظالم لنفسه الجهول بحقيقة وجودة ، حتى يستطيع تحقيق الغايات من خلقه ، وبذلك يستطيع أن يعبر هذه الحياة بسلام .. ويفوز بحسن المصير ، أو بالخلاص المأمول . وبهذا المفهوم تصبح " الديانة الإسلامية " مقدرا لها أن تبقى .. وإلا انتفت صفة الرحمة عن " الله " (ﷻ) ، حاشاه وهو " **الرحمن الرحيم** " .. ولهذا يأتى قوله تعالى عن الإسلام ورسوله (ﷺ) ..

﴿ إِنَّ فِى هَذَا لَبَلاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ (١٠٦) وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧) ﴾

(القران المجيد : الأنبياء {٢١} : ١٠٦ - ١٠٧)

دليل صدق على هذه المعانى .

وامتدادا لهذا المنظور السابق فإن إختفاء " الإسلام " إنما يعنى ببساطة شديدة إنتهاء العالم بشكل وجوبى ..!!! فليس هناك معنى أن تأتى الناس زرافات ووحدانا ــ فيما بعد إختفاء الإسلام ــ لتلقى حتفها بعدم تحقيقها الغايات من خلقها ، لهذا يجب أن تتوقف الحياة عند هذا القدر أو عند هذا الحد . فبديهى ليس هناك معنى فى تكرار لا يفيد ..!!! تماما مثل ما يصبح جميع إنتاج مصنع ما لا يحقق المواصفات المطلوبة من هذا الإنتاج ، لذا يجب يوقف هذا المصنع عن الإنتاج عند هذا الحد أو عند هذا القدر ، وإعدام المنتج الغير مطابق ، ثم تعديل الإنتاج . فيجب التنبه إلى أن المنطق هو منطق الله (ﷻ) فى الأصل وليس هناك تجاوز ... ثم هو منطق الإنسان فيما بعد . وهذا الموقف هو موقف مشابه إلى حد كبير لموقف الإنسان قبل طوفان " **نوح** " (ﷺ) . فقد أوحى " الله " (ﷻ) إلى **نوح** بأنه لن يؤمن من قومه إلا من امن من قبل :

﴿ وَأُوحِىَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦) ﴾

(القران المجيد : هود {١١} ٣٦)

وهنا تنتهى القصة بشكل وجوبى ، ولهذا كان من الطبيعى أن يقول " نوح " (عليه السلام) لربه ..

﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّـارًا (٢٦) إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَـادَكَ وَلاَ يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (٢٧) ﴾

(القرآن المجيد : نوح {٧١} : ٢٦ - ٢٧)

[لا تذر : لا تبقى / ديّارا : أحدا يدور ويتحرك فى الأرض]

فلن يأتى الكافر إلا بكل فاجرا كفارا ، ولا قيمة ولا جدوى من أن نأتى بإنسان سوف يهلك نفسه بنفسه . ولهذا تأتى الخاتمة بهلاك الكفر على نحو مطلق ...

﴿ مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَـأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا (٢٥) ﴾

(القرآن المجيد : نوح {٧١} : ٢٥)

وقياسا على هذا ؛ فإن إختفاء " الإسلام " وبقاء " الكفر " فقط .. يكون معناه أنـــهم لـــن ﴿ .. يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ ، لذا فلا بد وأن تأتى الخاتمة ــ فى هذه الحالة ــ للإنسان بوضع حـد لنهاية لهذا العالم ..!!!

١١ . ومزيد من الإختبارات ...

ويمشى الإنسان فى الوعر ..!!! ويمشى الإنسان فى هذه الحياة الدنيا تتنازعة الشـهوات وتمزق وجدانه الرغبات .. يتخطفه الطير .. ويتداعى الوجود أمام عينيه .. ليجعله دائم التلفـت كالتائه المجنون .. بحثا عن المتعة .. فى كل صورها .. لتبدد فى النهاية كسراب ليس له وجود ..!!! ولم يدرى الإنسان ــ فيما يدرى ــ أنها الحياة الدنيا .. وأنها قد زينت له عن قصد .. مـن ضمن سيناريو الوجود ..!!! فهذه هى الحياة .. كما جاءت فى قوله تعالى :

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَالْخَيْـلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الْدُّنـْيَا ... (١٤) ﴾

(القران المجيد : ال عمران {٣} : ١٤)

[**القناطير** : جمع قنطار ، وقيل القنطار ألف دينار / **المقنطرة** : المضاعفة / **المسومة** : قيل الراعية ، وقيل الحسان / **الأنعام** : جمع نعم ، وهى الأزواج الثمانية التى ذكرها الله (ﷻ) ، من الضأن والمعز والإبل والبقر]

*فإن للإنسان بالمحدود .. وأمامه اللامحدود .. والكل يتراقص أمامه بالتحريم ..!!! فتصبح للثمرة المحرمة مذاقها الخاص .. يتحسسه الإنسان فيما لديه فلا يجد له إلا اثارا ..!!! **وهكذا لا يسعد الإنسان بما يملك .. ولكنه يظل يشقى بما لا يملك .. ويبقى الجوهر سرابا .. لا يروى ظمانا ..!!!*** ويصبح الصراع بين قيم الإنسان ورغباته وتطلعه إلى المتع .. سمة من سمات الوجود ..!!! وإذا ما أضيف إلى ذلك مرض الإنسان واضمحلال قوته وضعفه ، كما جاء فى قوله تعالى ..

﴿ ... وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا (٢٨) ﴾

(القران المجيد : النساء {٤} : ٢٨)

يمكننا أن نفهم معنى قوله تعالى :

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ (٤) ﴾

(القران المجيد : البلد {٩٠} : ٤)

والكبد هو التعب والمعاناة والمشقة . **والكبد** ؛ هى كلمة جامعة ــ أيضا ــ تشمل كل ما يناقشه " **الوجوديون** " من ظواهر عن : " **القلق : Anxiety** " ، و " **الجزع : Dread** " ، و " **الضيق : Malaise** " و " **الكرب : Anguish** " ... **وهى المعانى التى تقود إلى " المعنى المأساوى للحياة " كما يأتى هذا فى فكر " الفلسفة الوجودية " . فالمعنى المأساوى للحياة هو الشعور الأنطولوجى الأساسى ، أو الشعور النموذجى فى فكر الفلسفة الوجودية ككل** . وبديهى لم تنتهى الفلسفة الوجودية إلى تشجيع أى محاولة للأمل فى هذه الحياة ، على اعتبار أن قصة الوجود ــ كلها ــ هى من الأمور الغيبية المجهولة التى ترتبط بالغايات من خلق الإنسان ، فهى " **منظور إلهى بحت** " . ولهذا تأتى التعزية والأمل استكمالا لسياق الاية الأسبق .. فى قوله تعالى :

﴿ ... ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالعِبَادِ (١٥) ﴾

(القران المجيد : ال عمران {٣} : ١٤)

[المآب : المرجع والمنقلب إلى الجنة]

وهكذا تنقلب الحياة الدنيا برمتها إلى ابتلاء على نحو مطلق .. ولهذا يأتى قوله تعالى ..

﴿ الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (٢) ﴾

(القرآن المجيد : الملك {٦٧} : ٢)

.. وبهذا المعنى تدخل جملة أعمال الإنسان فى داخل إطار الغايات من الخلق ، فالخلق ليس مجرد حسن توجه لله فحسب .. بل هو إلى جانب ذلك سلوك وعمل فى جوهره ، فالإنسان مسئول عن كل أعماله [٣٦] ..

﴿ ... وَلَتُسْـَٔالُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٣) ﴾

(القرآن المجيد : النحل {١٦} : ٩٣)

لتصبح الحياة كلها مسرحا لعمل الإنسان وتصبح الآخرة هى حصاد نتائج هذا العمل . ولهذا لا يذكر الإيمان فى القرآن المجيد إلا مقرونا بالعمل الصالح ...

﴿ ... وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٩) ﴾

(القرآن المجيد : التغابن {٦٤} : ٩)

كما يصبح " إيمان الإنسان " محل إختبار وتمحيص ...

﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا ءامَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣) ﴾

(القرآن المجيد : العنكبوت {٢٩} : ٢ – ٣)

---

٣٦ تلغى المسيحية " المسئولية الإنسانية " فى فكر الخلاص . فـ " الخلاص " فى الفكر المسيحى هو ناتج طبيعى أو ناتج تلقائى من الإيمان وليس له علاقة بصالح أو بطالح الأعمال ، بل هو هبة من الله ...

[(٨) لأنكم بالنعمة مُخَلَّصُونَ بالإيمان وذلك ليس منكم . هو عطية الله (٩) ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد]
(الكتاب المقدس : رسالة بولس الأولى إلى أهل أفسُس {٢} : ٨ – ٩)
وبديهى ؛ هو فكر يلغى " الأخلاق " فى جوهره .

﴿ وَلاَ تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لاَ يَرْجُونَ وَكَانَ اللّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٠٤) ﴾

(القرآن المجيد : النساء {٤} : ١٠٤)

ولكن هناك فرق بين من يتبين طريقه إلى الله (ﷻ) فى هذا الوجود ، وبين من يضل الطريق عنه . فالخطاب موجه ــ هنا ــ للمؤمنين .. وهو أنكم ..﴿ ... تَرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لاَ يَرْجُونَ ... ﴾ .. منه الكفرة ..

ثم يبقى الجانب النفسى محكوم بجهاد الإنسان فى مقاومته الفواحش ، حتى يصبح من " الْمُتَّقِين " (كما يأتى تعريفهم بعد) ... وينال الخلاص المرجو ، كما جاء فى قوله تعالى :

﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ [٣٧] (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (١٣٦) قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١٣٧) هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (١٣٨) ﴾

(القرآن المجيد : آل عمران {٣} : ١٣٣ – ١٣٨)

[**قد خلت** : قد مضت / **سنن** : طرائق الكفار]

وبديهى ــ كما تبين الآية الكريمة ــ بأن **غير المتقين** هم الذين يمكنهم فعل الفاحشة بعلم .. وهم بهذا ــ العلم ــ يخسروا وجودهم وخلاصهم ..

---

[٣٧] لاحظ أن الآيتين التاليتين : ١٣٤ ، ١٣٥ هما تعريف " **للمتقين** " . وسبق التعرض لتفسير هذه الآيات الكريمة فى الكتاب السابق ... " **الحقيقة المطلقة : الله والدين والإنسان** " ؛ لنفس مؤلف هذا الكتاب .

١٢ . ثم تأتى الخاتمة ...

﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّـهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٦) مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧) ﴾

(القرآن المجيد : النحل {١٦} : ٩٦ - ٩٧)

وتطول حيرة الإنسان ، وتقصر حياته ، ولكنه يصر على إساءة التقدير ، كما يصر على جهله واستكباره ، ولتعيد دورة الحياة (The circle of life) نفسها ..!!! فهذا هو الإنسان .. المعاند .. الحائر فى أوضح معانيه .. يصفه المولى ، عز وجل ، بقوله تعالى ...

﴿ كَلَّا إِنَّهُ (أى الإنسان) كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا (١٦) سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا (١٧) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤) إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥) سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (٢٨) لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ (٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠) ﴾

(القرآن المجيد : المدثر {٧٤} : ١٦ - ٢٤)

[**فقتل كيف قدر** : أى لعن تقديره واستحق عليه الهلاك / **عبس** : قبض ما بين عينيه / **بسر** : كلح وجهه / **أدبر** : اعرض عن الإيمان / **سحر يؤثر** : سحر ينقله عن غيره / **سأصليه سقر** : سأورده جهنم ، **لأنه لم يحقق الغايات من خلقه** / **لواحة للبشر** : (أحد معانيها) محرقة لجلود البشر]

ولم يدرك الإنسان بعد قوله تعالى : ﴿ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴾ . كما لم يدرك قوله تعالى : ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ [٣٨] ﴾ ، كما لم يدرك الإنسان نفسه .. **وحيرته** .. فى تلك الكلمات القابضة والحاكمة له ولسلوكه الحائر .. ﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ .. فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ .. ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ .. ثُمَّ نَظَرَ .. ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ .. ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴾ . فهذه هى حقيقة الإنسان ..!!! ويقف الإنسان المشرك يغلفه العجز من كل جوانبه ، وتحيط به الحيرة من كل إتجاه ، يحك رأسه كالأبله .. ولا يدرى

---

[٣٨] يمثل هذا الرقم واحد من أهم " **الأكواد الجينية : Genetic Codes** " فى القرآن المجيد ، وسيتم الكلام عنه ــ إنشاء الله ــ فى كتابات أخرى .

ماذا يفعل ..!!! ثم نراه يدبر ، أى يعطى ظهره لهذا الكتاب وينصرف عنه ، ويستكبر عن الإيمان به ..!!!

﴿ ... وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (٣١) ﴾

(القرآن المجيد : الحجّ {٢٢} : ٣١)

أى خرّ من عال بين جبال صلدة .. لا نهاية لها .. ورياح قاسية .. صفيرها يصم أذنيه .. تتخطفة النسور والجوارح من كل جانب ، وتصبح الحياة لديه ذلك الكابوس الذى لا نهاية له ..

وعلى الرغم من " قدرة الله " (ﷻ) على جعل الإيمان بوجوده " إيمانا قهريا " وبطريقة مباشرة إلا أنه يجعله إختياريا ، كما جاء فى قوله تعالى :

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٩٩) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (١٠٠) ﴾

(القرآن المجيد : يونس {١٠} : ٩٩ - ١٠٠)

[**ويجعل الرجس** : أى يجعل السخط والعذاب / **لا يعقلون** : أى يصرفوا عقولهم عن حجج الله و ياته]

هكذا .. ﴿ ... وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ . وهنا ينبغى أن يدخل " **العقل** " ، بأعمق وأشمل معانيه فى " القضية الدينية " . لقد قضت الحكمة الإلهية المتعالية ألا يكون هناك قهرية فى " البراهين الدالة على وجوده " ، وبهذا يكون الإيمان بوجوده إيمانا إختياريا ، وهو يمثل ــ فى ما يمثل ــ أعمق معانى النفس والعقل الإنسانى التى تتوافق مع المشيئة الإلهية .. والغايات من الخلق ..

وكثيرا ما كان يحزن النبى (ﷺ) عناد قومه ، بأن يأتيهم هذا القرآن ولا يؤمنوا به . وهنا ينبهه المولى (ﷻ) بأنه لا داعى لمثل هذا الحزن ، لأنه لو شاء لقهر الناس جميعا على الإيمان به ، ولكن هذا القهر مناف للعلة الغائية من وراء الخلق ، كما يأتى فى قوله تعالى :

﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٣) إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ (٤) وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ (٥) ﴾

(القران المجيد : الشعراء {٢٦} : ٣-٥)

[**باخع** : قاتل ومهلك نفسك من الغم على قومك / **فظلت أعناقهم لها خاضعين** : بمعنى لن يستطيع أحد أن يلوى عنقه ، أو التحول عن الإيمان بهذه الآية وبوجود الله / **محدث** : مما يحدثه الله إليك]

فهى غايات من الخلق ..!!! وبهذه الآية يقرر الله (ﷻ) أنه لاقهرية فى البرهان على وجوده . ثم تأتى الخاتمة للإنسان ..

﴿ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ (٩٧) إِنَّكُمْ وَمَا ٣٩ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (٩٨)﴾

(القرآن المجيد : الأنبياء {٢١} : ٩٧)

[**الوعد الحق** : البعث والحساب والجزاء / **شاخصة** : مفتوحة ومرتفعة لا تكاد تطرف / **كنا ظالمين** : لمعصية الله / **وما تعبدون من دون الله** : أى جميع صور الآلهة الغير عاقلة التى اتخذها الإنسان من دون الله ، عز وجل / **حصب** : حطب]

ولهذا لم يدرك ــ فيما يدرك ــ أنها غايات من الخلق .. ولتتكشف له الحقائق كاملة .. ولكن بعد فوات الآوان ..!!!

ولن يبقى لنا إلا أن نردد ما ردده نوح (عليه السلام) .. وهو يعرض حاله لربه ..

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا (٦) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (٧) ﴾

(القران المجيد : نوح {٧١} : ٥ - ٧)

[**فرارا** : تباعدا ونفارا عن الإيمان / **استغشوا ثيابهم** : بالغوا فى التغطى بها كراهة لنوح ، حتى لا يروه]

---

٣٩ لابد وأن أشير هنا إلى كلمة " **وما** " إنما تعنى غير العاقل . وهو ما يعنى أن الذين يعبدون الرسول **عيسى ابن مريم** " عليهما السلام ، هم الذين سيكونون حطب جنهم فحسب ، وليس " **عيسى** عليه السلام (لأنه عاقل) . ويتبرأ **عيسى** ، عليه السلام ، من مقولة الألوهية كما يجيء هذا فى قوله تعالى فى سورة : (المائدة {٥} : ١١٦ ١١٩) ، أنظر ص : ٥٥٤ ، من هذا الكتاب للنص القرانى .

.. ومن بين الأشواك تخرج زهرة .. ومن بين الألم تجد بسمة باهتة طريقها إلى الشـــفاة ... لأنها الحياة .. هكذا ارادها الله .. فهى غايات من الخلق ..!!!

﴿ ... لِّيَقْضِيَ اللَّـــهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَـــهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَـــةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَـــةٍ وَإِنَّ اللَّـــهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (٤٢) ﴾

(القرآن المجيد : الأنفال {٨} : ٤٢)

فهذا هو معنى أزلية النص لمن لا يريد أن يعى .. ولمن لا يريد أن يسمع ..!!!

obeikandl.com